دار الحديث السلفية - صبر - لحج

شرح

حائية ابن أبي داود

تأليف

أبي عبد الله طارق بن يوسف بن عباس الوليدي

شرح

حائية ابن أبي داود

شرح

حائية ابن أبي داود

شرح وتعليق

أَبي عَبْدِاللهِ طَارِقُ بْنُ يُوسُفَ الوَلِيْدِيُّ

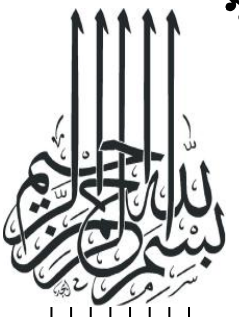

شرح
حائية ابن أبي داود

شرح وتعليق
أَبي عَبْدِاللهِ طَارِقُ بْنُ يُوسُفَ الوَلِيْدِيُّ

الطبعة الثانية
١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م

مقدمة الشارح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] .

وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن من نعم الله علينا أن هدانا للإسلام، ومنَّ علينا بنعمة السنة، وطلب العلم الشرعي، وإن من أجل العلوم وأنفعها؛ علم العقيدة، وقد يسر الله لي شرح "حائية ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ"، فأسأل اللهَ الكريمَ الوهابَ أن ينفع به الإسلام والمسلمين، والحمد لله رب العالمين.

وَكَتَبَهُ:

أَبُو عَبْدِ اللهِ طَارِقُ بْنُ يُوسُفَ الوَلِيْدِيُّ

الأربعاء (٢٢/ ٧/ ١٤٤٦هـ).

التعريف بالمنظومة الحائية

هذه المنظومة تتعلق بالعقيدة الصحيحة، التي ينبغي على كل مسلم ومسلمة أن يعتني بها، وأن يهتم بها، لا سيما في هذه الآونة المتأخرة التي صار أهل الزيغ والضلال ينشرون العقائد الباطلة، ويشككون الناس في دينهم، ويزعزعونهم في عقيدتهم؛ فلهذا كان الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يعتني بأمر العقيدة الصحيحة التي بها ينجو الإنسان من الخسارة في الدنيا والآخرة، فكل من لقي الله سبحانه وتعالى بعقيدة سليمة صحيحة، فقد فاز برضوان الله سبحانه وتعالى، كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء:٨٨:٨٩]، و(القلب السليم): هو القلب الخالي من الشرك والبدعة.

- **مسألة: ما منزلة هذه المنظومة عند العلماء؟**

هذه المنظومة هي أول ما صُنِّف في العقيدة نظما فيما نعلم وهي من المنظومات الجميلة المشهورة التي اشتهرت بين العلماء، وأثنوا عليها، قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هذه القصيدة متواترة عن ناظمها، رواها الآجري، وصنف فيها شرحًا، وأبو عبد الله بن بطة في الإبانة". اهـ[(١)].

وذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٣٣-٢٣٦)، وذكرها ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ٥٣)، وابن شاهين في الكتاب اللطيف لشرح مذاهب أهل السنة (٢٥٤-٢٥٧)، وشرحها السفاريني، واسم كتابه (لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الأثر السلفية)،

(١) انظر: "العلو" (ص٢١٢).

وشرحها أيضا أخونا الشيخ عبد الرزاق النِّهمي حفظه الله تعالى، وسمى شرحه فتح الودود بشرح حائية ابن أبي داود. وهو شرح مفيد.

- **مسألة: لماذا سميت بالحائية؟**

الجواب: سميت (حائية)؛ لأن حرف الروي فيها هو الحاء.

وحرف الروي: هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه، فيقال: قصيدة لامية، أو دالية، أو تائية، أو نونية إن كان حرفها الأخير لاما، أو دالا، أو تاء، أو نونا[1].

- **مسألة: كم عدد أبيات هذه المنظومة؟**

الجواب: عدد أبياتها ثلاث وثلاثون بيتا هذا هو المشهور، وفي بعض النسخ زيادة بعض الأبيات، والأظهر أنه ليست من المنظومة.

(١) انظر: "التعريفات" للجرجاني (ص١١٣).

التعريف بالناظم

- **اسمه:**

هو الامام العلامة عبد الله بن سليمان بن الأشعث أبو بكر السجستاني، والده إمام مشهور، وهو أبو داود السجستاني صاحب سنن أبي داود.

- **مولده:**

ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسجستان في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين.

رحل به أبوه من سجستان يطوف به شرقا وغربا حتى استفاد من علماء ذلك الوقت، قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وسافر به أبوه وهو صبي، فكان يقول: رأيت جنازة إسحاق بن راهويه".

قلت: وكانت في سنة ثمان وثلاثين ومائتين، في شعبان، فأول شيخ سمع منه: محمد بن أسلم الطوسي، وسر أبوه بذلك لجلالة محمد بن أسلم. اهـ[1].

- **أشهر مشايخه:**

روى عن: أبيه، وأحمد بن صالح، ومحمد بن يحيى الزماني، وأبي الطاهر بن السرح، وعلي بن خشرم، ومحمد بن بشار، ونصر بن علي، وعمرو بن عثمان الحمصي، وكثير بن عبيد، وموسى بن عامر المري، ومحمود بن خالد، ومحمد بن سلمة المرادي، وهارون بن إسحاق، ومحمد بن معمر البحراني، وأبي سعيد الأشج، وهارون بن سعيد الأيلي، ومحمد بن مصفى، وإسحاق الكوسج، والحسن بن أحمد بن أبي شعيب، وعمرو بن علي الفلاس، وهشام بن خالد الدمشقي، والحسن بن

(١) انظر: "سير أعلام النبلاء" (١٣/ ٢٢٢).

محمد الزعفراني، وزياد بن أيوب، والحسن بن عرفة، ومحمد بن يحيى الذهلي، وإسحاق بن إبراهيم شاذان، ويوسف بن موسى القطان، وخلق كثير بخراسان والحجاز والعراق، ومصر والشام، وأصبهان، وفارس.

- **أشهر تلاميذه:**

له تلاميذ كثر، ومن أشهرهم: ابن حبان، وأبو أحمد الحاكم، وأبو عمر بن حيويه، وابن المظفر، وأبو حفص بن شاهين، وأبو الحسن الدارقطني، وعيسى بن علي الوزير، وابن المقرئ، وأبو القاسم بن حبابة، وأبو طاهر المخلص، ومحمد بن عمر بن زنبور الوراق، وأبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب، وآخرون.

- **منزلته العلمية وأقوال أهل العلم فيه:**

قال الخليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حافظ إمام وقته عالم. متفق عليه[١].

وقال صالح بن أحمد الهمذاني الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان ابن أبي داود إمام العراق ونصب له السلطان المنبر، وكان في وقته ببغداد مشايخ أسند منه، ولم يبلغوا في الآلة والإتقان ما بلغ[٢].

وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكان من بحور العلم، بحيث إن بعضهم فضله على أبيه[٣].

---

(١) انظر: "لسان الميزان" (٤/ ٤٩٠).
(٢) انظر: "سير أعلام النبلاء" (١٣/ ٢٣٠).
(٣) انظر: "سير أعلام النبلاء" (١٣/ ٢٢٣).

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكـذا الإمـام ابـن الإمـام المرتـضى ... حقـــا أبـــي داود ذي العرفـــان
تصـــنيفه نظمـــا ونثـــرا واضـــح ... في الســـنة المثلـــى همـــا نجمـــان[1]

- **عقيدته:**

كان على عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي عقيدة السلف الصالح،، كما تدل عليه هذه المنظومة، وثناء العلماء عليه.

- **دفاع عن الإمام ابن أبي داود:**

اتهمه بعضهم بأمرين وهما:

-**الأمر الأول: نُسب إلى والده أنه قال: ابني عبد الله كذاب.**

وهذه التهمة غير صحيحة، فلم يصح عن أبيه أنه قال فيه هذه المقولة، فهذه رواية ضعيفة لم تثبت، وقد دفع هذه التهمة الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبعده الإمام المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- **الأمر الثاني: اتهمه بعضهم بأنه ناصبي.**

والنصب معناه: نصب العداء لآل بيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي عقيدة باطلة فاسدة.

قال أحمد بن يوسف الأزرق: سمعت أبا بكر بن أبي داود يقول: كل الناس مني في حل إلا من رماني ببغض علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ومما يدل على بطلان هذه الفرية ما جاء في هذه المنظومة من الثناء على علي بن أبي طالب حيث قال:

---

(١) انظر: "نونية ابن القيم" (ص٩١).

وَرابِعُهُـــم خَيْـــرُ البريَّـــةِ بَعْـــدَهُم عَلِيٌّ حَليفُ الخَيرِ، بالخَيرِ مُنْجِحُ

فلو كان ناصبيا كما زعموا لما قال هذا الثناء في علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فهذا يدل على أنه كان سنيا سلفيا، ولم يكن ناصبيا.

- **مصنفاته:**

صنف (السنن)، و(المصاحف)، و(شريعة المقارئ)، و(الناسخ والمنسوخ)، و(البعث) وأشياء.

- **وفاته:**

توفي رَحِمَهُٱللَّهُ يوم الأحد لاثنتي عشرة بقيت من ذي الحجة من سنة ست عشرة وثلاث مائة[1].

(١) انظر: "سير أعلام النبلاء" (١٣/ ٢٢٢)، و"تاريخ بغداد" (٩/ ٤٧١)، و"الموسوعة الميسرة" في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٢/ ١٣٥٨).

نص المنظومة الحائية

١) تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ، وَاتَّبِعِ الْهُدَى ۞ وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

٢) وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ۞ أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

٣) وَقُلْ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا ۞ بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ، وَأَفْصَحُوا

٤) وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا ۞ كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِـ (جَهْمٍ)، وَأَسْجَحُوا

٥) وَلَا تَقُلْ: (الْقُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ) ۞ فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

٦) وَقُلْ: يَتَجَلَّى اللهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً ۞ كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى، وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

٧) وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ، وَلَيْسَ بِوَالِدٍ ۞ وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ - تَعَالَى الْمُسَبَّحُ -

٨) وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا، وَعِنْدَنَا ۞ بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرَّحُ

٩) رَوَاهُ (جَرِيرٌ) عَنْ مَقَالِ (مُحَمَّدٍ) ۞ فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

١٠) وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ ۞ وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ

١١) وَقُلْ: يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ۞ بِلَا كَيْفٍ - جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدَّحُ -

١٢) إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ ۞ فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ

١٣) يَقُولُ: أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا ۞ وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا، فَيُمْنَحُ

١٤) رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ ۞ أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقَبَّحُوا

١٥) وَقُلْ: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ - بَعْدَ ۞ (وَزِيرَاهُ) قِدْمًا، ثُمَّ (عُثْمَانُ) الْأَرْجَحُ

١٦) وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ ۞ (عَلِيٌّ) خَلِيفُ الْخَيْرِ، بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ

١٧) وَإِنَّهُمُ وَالرَّهْطُ -لَا رَيْبَ فِيهِمُ- ۞ عَلَى نُجُبِ (الْفِرْدَوْسِ) فِي الْخُلْدِ تَسْرَحُ

١٨) (سَعِيدٌ) وَ (سَعْدٌ) وَ (ابْنُ عَوْفٍ) ۞ وَ (عَامِرُ فَهْرٍ) وَ (الزُّبَيْرُ) الْمُمَدَّحُ

١٩) وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي (الصَّحَابَةِ) ۞ وَلَا تَكُ طَعَّانًا تُعِيبُ وَتَجْرَحُ
٢٠) فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ ۞ وَفِي ﴿الْفَتْحِ﴾ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تُمْدَحُ
٢١) بِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ أَيْقِنْ، فَإِنَّهُ ۞ دِعَامَةُ عَقْدِ الدِّينِ، وَالدِّينُ أَفْصَحُ
٢٢) وَلَا تَنكِرَنَّ - جَهْلاً - (نَكِيرًا) وَ(مُنْكَرًا) ۞ وَلَا (الْحَوْضَ) وَ(الْمِيزَانَ)، إِنَّكَ تَنصَحُ
٢٣) وَقُلْ: يُخْرِجُ اللهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ ۞ مِنَ (النَّارِ) أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ
٢٤) عَلَى النَّهْرِ فِي (الْفِرْدَوْسِ) تَحْيَا بِمَائِهِ ۞ كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ
٢٥) وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ ۞ وَقُلْ فِي عَذَابِ (الْقَبْرِ) حَقٌّ مُوَضَّحُ
٢٦) وَلَا تُكْفِرِن أَهْلَ الصَّلَاةِ - وَإِنْ عَصَوْا ۞ فَكُلُّهُمُ يَعْصِي، وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ
٢٧) وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ؛ إِنَّهُ ۞ مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ
٢٨) وَلَا تَكُ مَرْجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ؛ ۞ أَلَا إِنَّمَا الْمَرْجِيُّ بِالدِّينِ يَمْرَحُ
٢٩) وَقُلْ: إِنَّمَا الْإِيمَانُ «قَوْلٌ، وَنِيَّةٌ، ۞ وَفِعْلٌ» عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ
٣٠) وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي، وَتَارَةً ۞ بِطَاعَتِهِ يَنْمِي، وَفِي الْوَزْنِ يَرْجَحُ
٣١) وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ ۞ فَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ
٣٢) وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْ بِدِينِهِمْ ۞ فَتَقْطَعَنَّ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ
٣٣) إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ - يَا صَاحِ هَذِهِ ۞ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَثَبَّتْ وَتَصْفَحُ

التمسك بالكتاب والسنة والحذر من البدع وأهلها

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١) تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ، وَاتَّبِعِ الْهُدَى ... وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

الشرح:

❁ يحث الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت على التمسك بالكتاب والسنة؛ فإنه لا سبيل إلى النجاة من البدع والمعتقدات الباطلة إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة والتمسك بحبل الله تعالى.

❁ ولهذا قال: (تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ) (التمسك) في اللغة: الأخذ بالشيء والاعتصام به، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٧٠].

▪ **مسألة: ما هو حبل الله ؟**

الجواب: حبل الله فسره بعضهم بالإسلام وقيل: القرآن الكريم. وهذا هو مراد الناظم هنا؛ لأنه ذكر السنة بعده، وقد أمر الله تعالى بالتمسك بحبل الله فقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣]. فيجب على المسلم أن

يتمسك بالقرآن والسنة، كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف:٤٣].

وفي حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم وفيه: «**ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به**» فحث على كتاب الله ورغب فيه. وفي رواية: «**كتاب الله فيه الهدى والنور، من استمسك به، وأخذ به، كان على الهدى، ومن أخطأه، ضل**». فلو أخذ الناس بكتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنجوا وافلحوا.

- **مسألة: لماذا بدأ الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ بالوصية بالتمسك بحبل الله ؟**

الجواب: أشار رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أن مصدر تلقي العقيدة الصحيحة وهو: القرآن وصحيح السنة على فهم السلف وإجماع الأمة.

والدليل على أخذ المعتقد الصحيح من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

وفي حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم وفيه: «**ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به**» فحث على كتاب الله ورغب فيه. وفي رواية: «**كتاب الله فيه الهدى والنور، من استمسك به، وأخذ به، كان على الهدى، ومن أخطأه، ضل**».

والدليل على أخذ المعتقد الصحيح من صحيح السنة: قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

وفي حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي في الباب: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ**». وفي رواية: «**قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إ[لا هالك**».

والدليل على أخذ المعتقد الصحيح من الإجماع: قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

وفي حديث أبي رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ». أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه بإسناد صحيح.

وجاء عَنْ ابْن عَبَّاسٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَجْمَعُ اللهُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ أَبَدًا**». أخرجه الحاكم بإسناد صحيح. وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ**». أخرجه أحمد بإسناد حسن.

ففي هذه الأحاديث بيان حجية إجماع الصحابة، وذلك أن (أل) في قوله: المسلمون هي للعهد الذهني، وهو نظير قوله في حديث العرباض: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ**».

- **فالمراد بسنة الخلفاء الراشدين أحد أمرين:**

الأول: إجماع الصحابة جميعًا.

الثاني: ما أحياه الخلفاء الراشدون من سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدليل أنه عطف سنتهم على سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس المراد بالحديث أن للخلفاء سنة مستقلة غير ما جاء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومثال ما أحياه الصحابة من سنته: إحياء عمر لصلاة التراويح[1].

وقد ذكر الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ عن المزني، أو الربيع قال: كنا يومًا عند الشافعي، إذ جاء شيخ عليه ثياب صوف، وفي يده عكازة، فقام الشافعي وسوى عليه ثيابه، وسلم الشيخ وجلس، وأخذ الشافعي ينظر إلى الشيخ هيبة له، إذ قال الشيخ: أسأل؟

قال: سل.

قال: ما الحجة في دين الله؟

قال: كتاب الله.

قال: وماذا؟

قال: سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) **قال ابن حزم** رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**» فالمراد أخذ ما أجمعوا عليه، وليس ذلك إلا فيما أجمع عليه سائر الصحابة رضوان الله عليهم معهم وفي تتبعهم سنن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والقول بها، فإن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أمر باتباع سنن الخلفاء الراشدين، ليس المقصود أن لهم سنة غير سنته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وإنما المقصود اتباعهم في اقتدائهم بسنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهكذا نقول، ليس يحتمل هذا الحديث وجها غير هذا أصلا. اهـ باختصار وتصرف. انظر: "إحكام الأحكام" (٦/ ٧٧)، و "إرشاد الفحول" (٢/ ١٨٧).

قال: وماذا؟

قال: اتفاق الأمة.

قال: من أين قلت: اتفاق الأمة؟

فتدبر الشافعي ساعة، فقال الشيخ: قد أجلتك ثلاثًا، فإن جئت بحجة من كتاب الله، وإلا تب إلى الله تعالى.

فتغير لون الشافعي، ثم إنه ذهب فلم يخرج إلى اليوم الثالث بين الظهر والعصر، وقد انتفخ وجهه، ويداه، ورجلاه، وهو مسقام، فجلس، فلم يكن بأسرع من أن جاء الشيخ، فسلم وجلس، فقال: حاجتي.

فقال الشافعي: نعم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ الآية [النساء: ١١٥].

قال: فلا يصليه على خلاف المؤمنين إلا وهو فرض. فقال: صدقت، وقام فذهب. فقال الشافعي: قرأت القرآن في كل يوم وليلة ثلاث مرات حتى وقفت عليه. اهـ[(١)]

فلذلك الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدأ بهذه الوصية؛ ليبيِّن أن عقيدة المسلمين لا تؤخذ إلا من القرآن وصحيح السنة النبوية، كما قال الأوزاعي: **"ندور مع الكتاب والسنة حيث دارا"**، وهذه هي طريق السلامة والنجاة.

❁ **وقوله: (واتَّبِع الهُدَى):**

أي: اتبع طريق الحق وهو طريق محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي هو الإسلام والقرآن، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور:٥٤]. وجاء في حديث عبد الله بن عمرو بن

(١) انظر: "سير أعلام النبلاء" (١٠/ ٨٣).

العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي، فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَقَدْ هَلَكَ**».

فطريق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي الهدى، والقرآن الكريم هو طريق نبينا عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

❁ **فائدة:** قسم العلماء الهداية إلى أربعة أقسام:

١) هداية التوفيق والإلهام القبول. وهي خاصة بالله تعالى وحده لا يشاركه فيها أحد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦].

٢) هداية الدلالة والإرشاد. وهذه عامة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولمن سار على طريقته من العلماء والدعاة إلى الله، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢] ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت:١٧] أي: دللناهم وأرشدناهم إلى الحق، فما استجابوا.

٣) الهداية العامة لجميع الخلق إلى مصالحها وأمور حياتها يدل عليه قوله تعالى: ﴿الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه:٥٠] يعني هداه إلى ما فيه مصلحته في دنياه، كهداية الطير إلى صنع العش، وهداية الرضيع إلى الثدي ...إلخ، وهذه تسمى بـ هداية الفطرة (الغريزة).

٤) هداية أصحاب الجنة لدخول الجنة، وأصحاب النار لدخول النار، وهي مرتبة على ما سبق من الإيمان والكفر، ويدل عليها قوله: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٣] ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُم﴾ [محمد:٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ

الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس:٩].(١)

▪ **مسألة : كيف نجمع بين نفي الهداية عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله تعالى:** ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦]. **وبين إثباتها له في قوله تعالى:** ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]؟

الجواب: أن الهداية المنفية عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي هداية التوفيق والإلهام، والهداية المثبتة له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي هداية الدلالة والإرشاد.

❁ **قوله: (ولا تَكُ بِدْعِيًّا)**: هذا تحذير من الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ من البدع وأهلها، فلا تكن من أهل البدع، ولا تناصرهم ولا تأوي إليهم، وفي هذا أيضا إشارة إلى أن من ابتعد وتخلى عن حبل الله وتخلى عن السنة فهو آخذ بسبيل بدعة وضلالة؛ فمنشأ البدع والضلالات يكون بمخالفة الكتاب والسنة، حتى عرَّف بعض أهل العلم البدعة: بما ليس بالسنة.

▪ **مسألة: ما هي طريقة أهل السنة وطريقة أهل البدع في الاعتقاد؟**

طريقة أهل البدع أنهم: يحكِّمون عقولهم وأهواءهم، فكل أمر وافق عقولهم الفاسدة قبلوه واعتقدوه، وإن خالف الكتاب والسنة، وكل أمر خالف عقولهم الفاسدة ردوه أو حرفوه وإن كان موافقا للكتاب والسنة.

وأما السلف الصالح فكانت طريقتهم في أبواب الإيمان والاعتقاد أنهم يقبلون ويأخذون بكل ما ثبت به الدليل من كتاب الله وصحيح سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علما

(١) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٤٤٧-٤٤٨).

وعملا واعتقادا ومنهجا، لا يفرقون بين حديث متواتر أو آحاد، ولا بين ما يوافق الأهواء والآراء أو ما يخالفهما.

■ **مسألة: ما هو تعريف البدعة ؟**

الجواب: البدعة عرفها العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: هي ما أحدث في الدين على خلاف ما كان عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه من عقيدة أو عمل.(١)

■ **مسألة: ما هو حكم البدعة؟**

الجواب: البدعة حرام لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»(٢).

فكل بدعة في الدين فهي محرمة وضلالة، وبهذا نعلم أن من قسَّم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة فهو مخطئ ومخالف لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»؛ لأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حكم على البدع كلها بأنها ضلالة، وهذا يقول ليس كل بدعة ضلالة بل هناك بدعة حسنة.

وليس لهؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة إلا قول عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في صلاة التراويح: (نعمت البدعة هذه).

والجواب عن ذلك: أن هذه الأمور لها أصل في الشرع فليست محدثة، فالتراويح قد صلاها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصحابه ليالي وتخلف عنهم في الأخيرة خشية أن تفرض عليهم واستمر الصحابة رضي الله عنهم يصلونها أوزاعاً متفرقين في حياة

---

(١) انظر: شرح "لمعة الاعتقاد" (ص٤٠).

(٢) حسن: أخرجه أحمد (١٧١٤٥) وأبو داود (٤٦٠٧) بإسناد حسن عن العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد حسنه العلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصحيح المسند برقم (٩٢١).

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد وفاته إلى أن جمعهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على إمام واحد كما كانوا خلف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليس هذا بدعة في الدين، فقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (نعمت البدعة)، يريد البدعة اللغوية لا الشرعية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة مع حسنها وهذه تسمية لغوية لا تسمية شرعية وذلك أن البدعة في اللغة تعم كل فعل ابتداء من غير مثال سابق وأما البدعة الشرعية فكل ما لم يدل عليه دليل شرعي.اهـ[١]

❁ **وقوله: (لَعَلَّكَ تُفْلِحُ):**

هذه نتيجة التمسك بالكتاب والسنة واجتناب البدع. وكلمة الفلاح هي أجمع كلمة قالتها العرب، فهي جامعة لخيري الدنيا والآخرة.

والفلاح هو: الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب.

ولا شك أن من تمسك بالكتاب والسنة أنه سيكون مفلحا؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي، فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَقَدْ هَلَكَ»**[٢].

---

(١) انظر: "اقتضاء الصراط المستقيم" (ص ٢٧٦).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٦٩٥٨) من طريق شعبة، أخبرني حصين، سمعت مجاهدا، يحدث، عن عبد الله بن عمرو. وهذا إسناد صحيح، وقد صححه العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيح المسند برقم (٨٠٢).

الدين والمعتقد الصحيح في الأخذ بالكتاب والسنة

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٢) وَدِنْ بِكِتَـــابِ اللهِ وَالسُّـــنَنِ الَّتِـــي ... أَتَـــتْ عَـــنْ رَسُـــولِ اللهِ تَنْجُـــو وَتَـــرْبَحُ

الشرح:

❁ **قوله:** (**وَدِنْ**): فعل أمر من الفعل "دان، يدين ديناً" تقول: دان لله. أي: تعبَّد لله، ومعنى البيت: تَعبَّدْ لله تعالى، وبماذا نَدينُ الله سبحانه وتعالى ونَتعبَّد له؟ «**بِكِتَابِ اللهِ والسُّنَنِ التِي أَتَتْ عَن رَسُولِ الله**»: أي: أقم دينك على الكتاب والسنة وآمن وأطع وامتثل ما جاء فيهما، بتصديق الأخبار وفعل الأوامر وترك النواهي.

❁ **وقوله:** (**والسُّنَنِ التِي أَتَتْ عَن رَسُولِ الله**): هذا تقييد لما جاء في السنن، بأنها لا بد أن تكون صحيحة ثابتة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى يؤخذ بها وتكون مقبولة، وأما السنن الغير ثابتة عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا تتعبد لله تعالى بها، بل بعضها يكون منشأ الضلال والبدع؛ لأنها موضوعة مكذوبة، فيجب عليك أيها المسلم في كل ما ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأحاديث سواء الآحاد أو المتواترة، قبولها والعمل بها **بتصديقها إن كانت خبراً، وتطبيقها إن كانت طلباً**، سواء كان ذلك في باب الأحكام والعبادات أو في باب العقائد والإيمان؛ لعموم الأدلة في وجوب العمل بخبر الواحد، خلافا لأهل البدع الذين يردون الآحاد في باب العقائد.[1]

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (١٣/ ٣٥٠)، و"مختصر الصواعق" ص (٥٥١).

▪ **مسألة : ما هو تعريف السنة ؟**

الجواب: السنة لغة: الطريقة. واصطلاحا: ما كان عليه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه من عقيدة أو عمل. واتباع السنة واجب لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

تنبيه:

هناك فرقة ظهرت نسأل الله سبحانه وتعالى ألا يقيم لهذه الفرقة قائمة، ولا يهيئ لها في قلوب الناس منزلة، وهم الذين يتسمون بـ (القرآنيين) الذين يقولون: نحن لا نأخذ إلا بالقرآن. وينكرون السنة، وهؤلاء مع ضلالهم فهم كاذبون في دعواهم؛ لأنهم في الحقيقة مكذبون بالقرآن غير آخذين به؛ لأن الله قد أمر في كتابه في آيات عديدة بالأخذ بالسنة والتمسك بها، ولذا لا يكون العبد متمسكًا بالقرآن إلا إذا أخذ بالسنة، فلا بد من الأخذ بالأمرين معًا، قال الله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧] وغيرها من الآيات. وجاء عن أبي رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ**». أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه بإسناد صحيح.

فائدة: قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون موافقة له من كل وجه، فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها.

الثاني: أن تكون بيانًا لما أريد بالقرآن وتفسيرًا له.

الثالث: أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه، أو محرمة لما سكت عن تحريمه، ولا تخرج عن هذه الأقسام، فلا تعارض القرآن بوجه ما.اهـ[(١)]

❁ **وقوله**: (**تَنْجُ**): أي: إذا دِنْتَ لله تعالى بالكتاب والسنة فإنك تنجو من جميع الشرور والمخاوِف في الدنيا والآخرة؛ لأنه لم يذكر من أي شيء؛ ليعم النجاة من كل شر وبلاء في الدنيا والآخرة.

❁ **وقوله**: (**وَتَرْبَحُ**): وأيضا يحصل لك الربح الكثير في الدنيا والآخرة، فهذه زيادة على النجاة، فالنجاة رأس المال وفوقه أرباح متعددة بحسب قوة اعتصام المرء بالكتاب والسنة أرباح دنيوية وأرباح أخروية.

كما قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨]. وقال: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه:١٢٣].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تكفَّل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه، أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية[(٢)].

❁❁❁❁❁

(١) انظر: " إعلام الموقعين " (٤/ ٨٤).

(٢) حسن موقوفًا: أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٩٢٦) وابن جرير في تفسيره عند الآية من طريق عن أبي خالد الأحمر سليمان بن حيان، عن عمرو بن قيس، عن عكرمة عن ابن عباس به. وهذا إسناد حسن؛ لأجل أبي خالد فهو حسن الحديث، وقد رواه الطبراني (١٢/ ٤٨) عن ابن عباس مرفوعًا، وفي سنده: محمد بن عثمان بن أبي شيبة، وعمران بن أبي عمران وكلاهما ضعيف. وقد ضعف المرفوع العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الضعيفة (٤٥٣١).

كَلَامُ اللهِ تَعَالَى غَيْرُ مَخْلُوقٍ

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٣) وَقُـلْ: غَيْـرُ مَخْلُـوقٍ كَـلَامُ مَلِيكِنَـا ... بِـــذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَـــاءُ، وَأَفْصَـــحُوا

الشرح:

أول ما بدأ به الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ذكر الصفات: صفة الكلام؛ لأن هذه الصفة من أعظم الصفات التي خاض فيها أهل البدع بالأقوال الباطلة والتأويلات المنحرفة.

صفة الكلام:

من صفات ربنا سبحانه وتعالى أنه يتكلم والدليل قال الله تعالى :﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤].وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح:١٥]. وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. وقال تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. فالله سبحانه وتعالى يتكلم بكلام يليق بجلاله، وأجمع السلف على ثبوت الكلام لله حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته، فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. وهو كلام متعلق بمشيئته بحروف وصوت يسمع.

والدليل على أنه يتعلق بمشيئته تعالى قوله جل وعلا: ﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. فالتكليم حصل بعد مجيء موسى فدل على أنه متعلق بمشيئته تعالى. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى﴾ [طه:١١]. وقال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء:٢] أي متجدد.

والدليل على أنه حروف قوله تعالى: ﴿نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه:١٢]. فإن هذه الكلمات حروف وهي كلام الله.

والدليل على أنه بصوت قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم:٥٢]. والنداء والمناجاة لا تكون إلا بصوت. وقال تعالى: ﴿وأَنَا اخترتك فَاسْتَمِعْ لما يُوحَى﴾ [طه:١٣]. وفي حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**يَحْشُرُ اللهُ النَّاسَ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا قَالَ: قُلْنَا: مَا بُهْمًا؟ قَالَ: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ**». أخرجه أحمد بإسناد حسن.

❁ **فائدة:** لم يكن بين السلف خلاف في أن كلام الله تعالى بحرف وصوت، وأول من عُرِف عنه إنكار الحرف والصوت هو عبد الله بن سعيد بن كلاب في أثناء المائة الثالثة، وقد ألف الإمام السجزي رَحِمَهُ اللَّهُ كتابا عظيما في الرد على من أنكر الحرف والصوت.

❁ **وقد أشار الناظم إلى اعتقاد أهل السنة في صفة الكلام فقال: (وَقُلْ غَيْرُ مَخْلِوقٍ كَلامُ مَليكِنا):** (قل) الخطاب لصاحب السنة المتمسك بالكتاب والسنة، أي: قل معتقداً مؤمنًا بهذا الأمر غير شاكٍ فيه ولا مترددٍ؛ لأن القول إذا أطلق فإنه يشمل قول القلب وقول اللسان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ﴾ [البقرة: من الآية: ١٣٦] أي: قولوا ذلك بقلوبكم إيمانًا واعتقاداً وبألسنتكم نطقًا وتلفظًا.

❁ **وقوله: (غَيْرُ مَخْلِوقٍ):** هذا رد على الجهمية والمعتزلة الذين ينفون صفة الكلام عن الله تعالى، ويصرحون بأن كلام الله مخلوق، وعلى الأشاعرة والكلابية أيضًا الذين يقولون: إن الله يتكلم، ولكن الكلام نوعان:

١- كلام نفسي ليس بحرف ولا صوت وهذا يضيفونه إلى الله.

٢- كلام لفظي الذي يشتمل على الحرف والصوت والذي هو القرآن فهو مخلوق، وهو عبارة أو حكاية عن كلام الله وليس كلام الله بل هو مخلوقٌ من جمل سائر المخلوقات، وبذلك يلتقون مع الجهمية والمعتزلة.

فالناظم بقوله: (**غَيْرُ مَخْلُوقٍ**) رد على جميع الطوائف المخالفة لأهل السنة في صفة الكلام.

❁ **وقوله:** (**كَلامُ مَليكِنا**): إضافة الكلام إلى الله من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، بخلاف المعتزلة الذين قالوا هو من باب إضافة المخلوق إلى الخالق.

❁ **وفي قوله:** (**كَلامُ مَليكِنا**): نستفيد أن صفة الكلام على ما يليق بجلال الله تعالى؛ لأن الأصل في الصفات بحسب ما يضاف إليه، فما يضاف إلى الله من الصفات يثبت له على وجه يليق به سبحانه وتعالى، وهذا تضمنه قوله: (**غَيْرُ مَخْلُوقٍ**) أي: هي صفة لله تليق به ولا تماثل صفات المخلوقين، فهو سبحانه له الكمال في ذاته وصفاته. ولذا قال بعض السلف: إذا أردت أن تعرف الفرق بين كلام الله وكلام المخلوقين فهو كالفرق بين الخالق والمخلوق.

❁ **وقوله:** (**مَليكِنا**): فيه إثبات صفة الملك لله، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران:٢٦]، والمخلوق إذا ملك شيئًا فإنما هو بتمليك الله له، فالله مالك الدنيا والآخرة، والملك من معاني الربوبية؛ لأن الربوبية لها معانٍ منها: السيد والمطاع والملك.

❁ **فائدة: المضاف إلى الله تعالى قسمان:**

١): إضافة أعيان. وهي نوعان:

أ- إضافة أعيان منفصلة قائمة بنفسها مثل: ناقة الله، بيت الله. فهذا من باب إضافة المخلوق إلى خالقه.

ب- إضافة أعيان غير منفصلة عن الله بل هي قائمة بذاته سبحانه، مثل: يد الله، وجه الله، ساق الله. فهذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

٢): إضافة معان (صفات) وهي نوعان:

أ- أن تكون وصفا قائمًا بالله تعالى كقوله تعالى: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾، وقولك: علم الله، وقدرة الله، وحياة الله. فهذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

٢- أن تكون وصفا غير قائم بالله بل هو قائم بالمخلوق كإضافة الرحمة المخلوقة التي جعلها في العباد، كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**خلق الله مائة رحمة، فوضع واحدة بين خلقه وخبأ عنده مائة إلا واحدة**». فهذا من باب إضافة المخلوق إلى خالقه.[(١)]

❁ **وقوله: (بِذَلكَ دَانَ الأَتْقِياءُ وأَفْصحُوا)** أي: بهذه العقيدة الصحيحة -وهي أن كلام الله غير مخلوق ومن كلامه سبحانه القرآن الكريم- **(دَانَ)** أي: تدين بهذا المعتقد الصحيح، **(الأَتْقِياءُ)** جمع تقي، وهو الذي جعل بينه وبين عذاب الله وقاية بفعل الأوامر وترك النواهي، ولهذا أفضل ما فسرت به التقوى قول طلق بن حبيب رحمه الله: "التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله".

❁ **وقوله: (وأَفْصحُوا)** أي: صرحوا بهذا، إضافة إلى أنهم دانوا بذلك واعتقدوه بقلوبهم فقد أفصحوا به وصرحوا به وأبانوه وقرروه للمسلمين.

---

(١) انظر: "درء تعارض العقل والنقل" (٧/ ٢٦٥)، و"الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" (٢/ ١٥٩)، و"الروح" لابن القيم ص(١٤٤)، و"القول المفيد" (١/ ٧٤).

القرآن كلام اللّه غير مخلوق

- **مسألة : ما عقيدة أهل السنة في القران؟**

الجواب: عقيدة أهل السنة في القرآن الكريم أنه مِن كلام الله تعالى حقيقة منزَّل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وهو كلام الله حروفه ومعانيه.

❁ **فقولنا: (من كلام الله)** دليل ذلك: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة:٦] يعني القرآن. وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفرقان: ١].

❁ **وقولنا: (منزلٌ)** دليل ذلك قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِىَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة:١٨٥] ، وقوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] ، وقوله: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلا﴾ [الإسراء:١٠٦]. وقوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ٣ - ٥].

❁ **وقولنا: (غَيْرُ مَخْلُوقٍ)** أدلة ذلك كما يلي:

١): **قوله تعالى:** ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فجعل الله الأمر غير الخلق؛ لأن العطف يقتضي المغايرة، والقرآن من الأمر لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]. وقد احتج الإمام أحمد رحمه الله على الجهمية المعتزلة بهذه الآية. قال رحمه الله: "قلت: قال الله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ ففرق بين الخلق والأمر". وقد سبق الإمام أحمد إلى هذا الاحتجاج شيخه الإمام سفيان بن عيينة رَحِمَهُمَاٱللَّهُ.

٢): **قوله تعالى**: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ﴾ [الرحمن: ١ - ٣]. ففرق تعالى بين علمه وخلقه، فالقرآن من علمه، والإنسان خلقه، وعِلْمه تعالى غير مخلوق. وبهذا احتج الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الجهمية فيما كتبه للمتوكل في مسألة القرآن.

قال رحمه الله: "قال عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ، فأخبر تعالى أن القرآن من علمه" قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِى جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٤٠] قال: "فالقرآن من علم الله تعالى، وفي هذه الآيات دليل على أن الذي جاءه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هو القرآن، لقوله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِى جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾". وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "القرآن علم من علم الله، فمن زعم أن علم الله مخلوق فهو كافر".اهـ[(١)]

٣): **قوله تعالى**: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ فكل مخلوق له حد وغاية ينتهي إليها وينفد، وكلامه سبحانه وتعالى بخلاف ذلك قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]. فأخبر تعالى -وقوله الحق- أن كلماته غير متناهية، فلو أن البحار التي خلق الله كانت مدادا تكتب به، والشجر الذي خلق الله أقلاما تخط به، لنفد مداد البحور، ولفنيت الأقلام، ولم تفن كلمات الله، فدل هذا على أنه غير مخلوق.

---

(١) انظر: "مسائل الإمام أحمد رواية ابن هانئ" (ص٤١٨).

قال بن أبي حاتم: حدثنا أبي سمعت بعض أهل العلم يقول قول الله عز وجل انا كل شيء خلقناه بقدر وقوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر الآية يدل على أن القرآن غير مخلوق لأنه لو كان مخلوقا لكان له قدر وكانت له عناية ولنفد كنفاد المخلوقين وتلا قوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي إلى آخر الآية[١].

٤): قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**»[٢].

قال الخطابى- بعد ذكره لحديث ابن عباس والّذي فيه: كان رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعوذ الحسن والحسين: «**أعيذكما بكلمات اللّه التامة** .. »، الحديث قال: كان أحمد بن حنبل يستدل بقوله: «**بكلمات اللّه التامة**» على أن القرآن غير مخلوق، وهو أن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لا يستعيذ بمخلوق[٣].

وقال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي هذا دليل أن كلام الله غير مخلوق، وأن سواه خلق.

٥): أن كلام الله صفة من صفاته وصفاته غير مخلوقة.

٦): إجماع السلف على أن كلام الله غير مخلوق.

قال عمرو بن في دينار (من خيار أئمة التابعين): قال: "أدركت أصحاب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فمن دونهم منذ سبعين سنة، يقولون: الله الخالق، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، منه خرج وإليه يعود[٤].

---

(١) انظر: "فتح الباري" (١٣/ ٤٤٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٨) عن خولة بنت حكيم السلمية.

(٣) انظر: "معالم السنن" (٤/ ٣٣٢).

(٤) صحيح: أخرجه الخلال كما في "مختصر العلو" (١٧٣) فقال: أنبأنا حرب الكرماني، حدثنا إسحاق بن راهويه عن سفيان عن عمرو بن دينار.

❁ **وقولنا: (منه بدا)** أي: ظهر وخرج منه -سبحانه- أي: هو المتكلم به، وهو الذي أنزله من لدنه. ودليل ذلك أن الله أضافه إليه ولا يضاف الكلام إلا إلى من قاله مبتدئًا قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾.

وقولنا: (وإليه يعود). له معنيان:

١- أنه يعود إلى الله وصفا، بمعنى أنه لا يوصف به أحد سوى الله فيكون المتكلم هو الله عز وجل، وهو الموصوف به.

٢- أنه يعود إلى الله في آخر الزمان بمعنى أنه يرفع من المصاحف والصدور في آخر الزمان. ودليل ذلك ما أخرجه ابن ماجه وغيره عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة. وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية**». الحديث[(١)].

❁ **وقولنا: (وهو كلام الله حروفه ومعانيه)** فالقرآن كلام الله، حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني كما يقوله بعض المعتزلة، ولا المعاني فقط دون الحروف، كما هو قول الأشاعرة ومن شابههم، وكلا القولين باطل مخالف للكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، فإن الأدلة دلت على أن القرآن العزيز الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات عين كلامه -سبحانه-.

▪ **مسألة: ما هي شبهات أهل البدع في أن القرآن مخلوق؟**

---

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩) والحاكم (٨٤٦٠) وغيرهما من طريق أبي معاوية عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة به. وهذا إسناد صحيح، وهو في الصحيح المسند للعلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (٢٩٣). وصح هذا عن أبي هريرة وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا موقوفا عليهما وله حكم الرفع.

الشبهة الأولى: أن القرآن شيء، وقد قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢]. ولفظ (كل) للعموم، فالقرآن داخل في عموم ما خلق الله من الأشياء؟

والجواب من وجهين:

الأول: أن القرآن كلام الله تعالى، وهو صفة من صفات الله، وصفات الخالق غير مخلوقة، فقوله تعالى: الله شامل لذاته وصفاته، فهو الخالق وما سواه مخلوق.

الثاني: أن صيغة (كل) من صيغ العموم، لكن عمومها بحسب ما يقترن بها الكلام ويدل عليه، فمثلا قوله تعالى في ريح عاد: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] فـ (كل) هنا لا تفيد العموم المطلق بدليل أنها لم تدمر المساكن قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ فأبان أن مساكنهم لم تدمر، ومقتضى ذلك أنها لم تدمر الأرض ولا الجبال ولا غير ذلك من سوى أهلها، فدل ذلك على أن عموم (كل) إنما كان في حق الكفار المستحقين للوعيد، لا كل شيء حتى من سواهم من الجماد وغيره، وعلى هذا فيكون معنى الآية: تدمر كل شيء أُمرت بتدميره. أو يقال: تدمر كل شيء يقبل التدمير بالريح عادة وما يستحق التدمير. والأول أظهر.

وقال تعالى في حق ملكة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] ومعلوم أنها لم تؤت ملك سليمان، ولا غير أرضها من الأرض. فعلى هذا فالمراد بقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: من كل شيء يحتاج إليه الملوك، وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام، إذ مراد الهدهد أنها ملكة كاملة في أمر الملك، غير محتاجة إلى ما يكمل به أمر ملكها، ولهذا نظائر كثيرة.

ولقد أثبت تعالى أن له نفسا، قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] وقال: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١] وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥، الأنبياء: ٣٥] فهل يدخل الجهمي نفس الله تعالى في هذا العموم؟ إن الأنفس التي تموت إنما هي الأنفس المخلوقة، أما الخالق تعالى بصفته فهو حي لا يموت.

فدلت هذه النصوص على أن عموم (كل) إنما هو بحسب الموضع الذي وردت فيه، فكذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾. فالله تعالى شيء، وصفته شيء، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٩] والمخلوق شيء، والله هو الخالق، وليس بمخلوق، وصفاته تابعة لذاته، فليست بمخلوقة، والقرآن كلامه، وكلامه صفته، وصفته غير مخلوقة، فالله شيء غير مخلوق، وصفته شيء غير مخلوق، والمخلوق من وقع عليه فعل الخلق، وهو كل شيء سوى الله تعالى وصفته.

الشبهة الثانية: أن القرآن مجعول، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:٣]. والجعل: الخلق.

وجوابها: أن لفظ (جعل) في اللغة العربية لها معنيان:

١- معنى (**خلق**). ولا يكون بمعنى (خلق) إلا إذا تعدى إلى مفعول واحد.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام:١]. وقوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، وقوله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حى أفلا يؤمنون - وجعلنا فى الأرض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون﴾ [الأنبياء: ٣٠ - ٣١].

٢- بمعنى (**صيَّر أو اعتقد أو سمَّى**) أو غير ذلك. وذلك إذا تعدى إلى مفعولين. لإذا تعدى إلى مفعولين فلا يكون بمعنى (خلق) بأي حال.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل:٩١].وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلُواْ اللّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١] وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩] وقال تعالى: ﴿وَلاَ

تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الإسراء: ٣٩]. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:١٩] وقال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ [البقرة: ٦٦] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣]. ونظائره كثيرة. فكذا قوله تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] فالمفعول الأول الضمير والثاني [قرآنا] والمعنى: قلناه قرآنا عربيا، أو بيناه.

وقد أجاب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن المعتزلي حين احتج عليه بهذه الآية فرد عليه بقوله: "فقد قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ أفخلقهم؟ ".

الشبهة الثالثة: أن القرآن محدث، كما قال الله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء:٢] وكما قال: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥] والمحدث: المخلوق.

وجوابها: أن قوله تعالى: ﴿مُحْدَثٍ} أي: متجدد، فـ (محدث) في الأصل من (الحدوث) وهو كون الشيء بعد أن لم يكن، والقرآن العظيم حين كان ينزل، كان كلما نزل مه شيء كان جديدا على الناس، لم يكونوا علموه من قبل، فهو محدث بالنسبة إلى الناس، ألا تراه قال: ﴿مَا يَأْتِيهِم} ؟ فهو محدث إليهم حين يأتيهم، ومنه قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «إن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة» وأمر الله: قوله وكلامه، وهو غير مخلوق، فهو محدث بالنسبة إلى العباد، أي: جديد عليهم، فليس المحدث هنا هو المخلوق.[1]

(١) انظر: "شرح الطحاوية لابن أبي العز" بتعليقنا (ص٣٢٢).

التحذير من مذاهب المبتدعة في القرآن الكريم

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤) وَلَا تَـكُ فِـي الْقُـرْآنِ بِـالْوَقْفِ قَـائِلًا كَمَا قَـالَ أَتْبَـاعٌ لِـ (جَهْـمٍ)، وَأَسْـجَحُوا

الشرح:

بعد أن ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الاعتقاد الصحيح في كلام الله تعالى، حذر في هذا البيت من الأخذ بالأقوال الباطلة المخالفة لأهل السنة في صفة الكلام لله تعالى وفي القرآن الكريم.

- **مسألة : من هم الذين خالفوا أهل السنة في صفة الكلام؟**

الجواب: خالف أهل السنة في كلام الله طوائف نذكر منهم طائفتين:

الطائفة الأولى: الأشعرية

قالوا: كلام الله معنى قائم بنفسه لا يتعلق بمشيئته وهذه الحروف والأصوات المسموعة مخلوقة للتعبير عن المعنى القائم بنفس الله ونرد عليهم بما يلي:

١- إنه خلاف إجماع السلف.

٢- خلاف الأدلة؛ لأنها تدل على أن كلام الله يسمع ولا يسمع إلا الصوت لا يسمع المعنى القائم بالنفس.

٣- خلاف المعهود؛ لأن الكلام المعهود هو ما ينطق به المتكلم لا ما يضمره في نفسه.

الطائفة الثانية: الجهمية

فإن الجهمية عند أن ظهرت بدعة القول بخلق القرآن انقسموا إلى ثلاث أقسام:

الفرقة الأولى: أتباع جهم الذين صرحوا بخلق القرآن. وقد تقدم ذكر شبهاتهم والرد عليها، وهؤلاء قد كفرهم أهل السنة، قال الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: القران كلام الله غير مخلوق، فمن قال: "إن القران مخلوق" فهو كافر بالله العظيم، لا تقبل شهادته، ولا يعاد إن مرض ولا يصلى عليه إن مات، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ويستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه.اهـ[1]

فلما بيَّن أهل السنة بطلان قولهم وشدوا عليهم، وفنَّدوا شبههم الزائفة -ولله الحمد والمنة- فلجئوا إلى الحيل الآتية.

الفرقة الثانية: الواقفة. وهم الذين توقفوا فلم يقولوا: إن القرآن مخلوق، ولا غير مخلوق. بل هو كلام الله فقط. ووقفوا عند هذا الحد، قالوا: لا نتجاوز هذا الذي أخبرنا الله به في كتابه وهو أنه كلامه فقط ولم يقل: إنه غير مخلوق، فقال تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾. وسمي هؤلاء بالواقفة لأجل ذلك.

وهذه الفرقة شرٌ من الجهمية الذين صرحوا بخلق القرآن، وذلك لأمرين:

١- أن التوقف شك وريب في أمور الدين والاعتقاد، وذلك لا يجوز لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾.

---

(١) صحيح: أخرجه الصابوني في "عقيدة السلف" (ص٤) فقال: سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول سمعت أبا الوليد حسان بن محمد يقول سمعت الإمام أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة. وهذا إسناد صحيح.

قال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (باب ذكر النهي عن مذاهب الواقفة) قال محمد بن الحسين: وأما الذين قالوا: القرآن كلام الله ووقفوا فيه وقالوا: لا نقول: غير مخلوق، فهؤلاء عند كثير من العلماء ممن رد على من قال بخلق القرآن، قالوا: هؤلاء الواقفة: مثل من قال: القرآن مخلوق وأشر؛ لأنهم شكوا في دينهم، ونعوذ بالله ممن يشك في كلام الرب: إنه غير مخلوق وأنا أذكر ما تأدى إلينا منه ممن أنكر على الواقفة من أهل العلم... إلخ".اهـ[1]

٢- أن التوقف مكر من الجهمية بالمسلمين، فهم تستَّروا بالوقف ليلبسوا على المسلمين ويخدعوهم فلا يحذرهم الناس مع أنهم في الحقيقة جهمية يعتقدون خلق القرآن. ولهذا صرح أئمة الدين بأن من قال: "لا أقول القرآن غير مخلوق" فهو جهمي، بل هو أخبث من الجهمية.

- **فإن قيل: الواقف في مسألة القول بخلق القرآن لم يقل باطلًا ولا زورًا؟**

فالجواب: كما قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما سُئل هل لهم رخصة أن يقول الرجل: القرآن كلام الله، ثم يسكت؟ فقال: ولم يسكت؟ لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا، لأي شيء لا يتكلمون؟.

قال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معنى قول أحمد بن حنبل في هذا المعنى يقول: لم يختلف أهل الإيمان أن القرآن كلام الله تعالى؟ فلما جاء جهم بن صفوان فأحدث الكفر بقوله: القرآن مخلوق لم يسع العلماء إلا الرد عليه بأن القرآن كلام الله غير مخلوق بلا شك، ولا توقف فيه، فمن لم يقل غير مخلوق سمي واقفيًا، شاكًا في دينه.اهـ[2]

---

(١) انظر: "الشريعة" (١/ ٥٢٦).

(٢) انظر: "الشريعة" (١/ ٥٢٧).

❁ وهذه الفرقة هي التي حذر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ منها في هذا البيت بقوله: **(وَلاتَكُ فِي القُرْآنِ بالوَقْفِ قائلا)** أي: لا تكن قائلا بالوقف في القرآن **(كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا)** أي: اطمأنوا بالقول بالوقف، ومالت نفوسهم لذلك، ولانت إلى هذا المعتقد الباطل.

▪ **مسألة : من هم الجهمية ؟**

الجواب: الجهمية هم أتباع أبو محرز الجهم بن صفوان الترمذي السمرقندي، الذي أخذ مقالة التعطيل عن الجعد بن درهم، لكن لما كان الجهم هو الذي أذاع هذا المعتقد ونشره نسبت الفرقة إليه، وهي من أخبث الطوائف وأضلها وأبعدها عن الحق.

والجعد بن درهم هو شيخ الجهم بن صفوان، مبتدع ضال، قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولا كلم موسى، وأن ذلك لا يجوز على الله.

❁ **فائدة:** الذي قتل الجهم هو سلم بن أحوز – أمير شرطة خراسان بها – سنة (١٢٨هـ)، حينما علم أنه يقول مقالة الجعد بن درهم.

سلسلة الجهمية إلى اليهود

أصل معتقد الجهمية من اليهود، فالجهم بن صفوان أخذ عقيدته عن الجعد بن درهم، وجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فأصل مقالات الجهمية وأساس نشأتهم مرتبط باليهود.[1]

زمن ظهور الجهمية:

ظهرت هذه الفرقة في أواخر القرن الأول، وبداية القرن الثاني.

ومن ضلالات الجهمية:

أولًا: مذهبهم في باب الأسماء والصفات:

الجهمية في باب الأسماء والصفات معطلة، فهم أنكروا أسماء الله وصفاته، وزعموا أن ما وردت به الأخبار من ذلك فإنما هي مخلوقات منفصلة لا يوصف الله بها.

ثانيًا: مذهبهم في أفعال العباد (القدر):

الجهمية في باب القدر جبرية، أي: أن العبد مجبور على فعله لا اختيار له ولا إرادة، وإنما تضاف إليهم أفعالهم وحركاتهم مجازًا، وإلا فالفاعل حقيقة هو الله، فالعبد كورق الشجر تحركه الرياح، وكالريشة في مهب الريح.

---

(١) انظر: "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (٦/ ١٤٩)، و"مجموع الفتاوى" (٥/ ٢٠)، و"البداية والنهاية" (١٣/ ١٤٧).

ثالثًا: مذهبهم في الإيمان:

الجهمية في باب الإيمان مرجئة، يرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، فالإيمان تعريفه عندهم: هو المعرفة بالقلب فقط، والكفر هو الجهل بالله فقط[١].

(١) انظر: "موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام" (٦/ ٤١٧).

بطلان قول من قال: لفظي بالقرآن مخلوق

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٥) وَلَا تَقُلْ: (الْقُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ) فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

الشرح:

ذكر الناظم في هذا البيت **(الفرقة الثالثة)** من فرق الجهمية وهم: اللفظية.

والفظية هم الذين قالوا: لفظي بالقرآن مخلوق.

وأول من أحدث بدعة اللفظ هو حسين الكرابيسي، فبدَّعه الإمام أحمد ووافقه على ذلك أكثر أهل العلم وهم نحو الخمسة والأربعين عالما، وسبب ذلك أن هذه الجملة (لفظي بالقرآن مخلوق) من الألفاظ المجملة التي تحتمل الحق والباطل؛ لأنك لا تقدر أن تفرز التلفظ من الملفوظ الذي هو كلام الله إلا في ذهنك. وقد تذرَّع بذلك الجهمية إلى القول بخلق القرآن، فكان من الواجب سد الباب على أهل البدع.

وبيان وجه الإجمال في ذلك كما يلي: أن اللفظ يطلق على أحد معنيين:

المعنى الأول: اسم مفعول بمعنى ملفوظ، فيكون معنى (لفظي بالقرآن مخلوق) أي: الملفوظ والمقروء مخلوق.

وهذا المعنى باطل؛ لأن الملفوظ والمقروء هو القرآن وهو غير مخلوق. وإطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول وراد في اللغة العربية كأن تقول: أعجبني صنعك. أي: المصنوع. وأكلت ذبحك. أي: المذبوح. وهذا المعنى هو الذي أراده الجهمية بإطلاقهم لهذه العبارة، حتى قال أحمد: اللفظية جهمية.

المعنى الثاني: المصدر بمعنى اللفظ (فعل الفاعل)، فيكون معنى (لفظي بالقرآن مخلوق) أي: حركات لساني وفعلي حين قرائتي مخلوقة.

وهذا المعنى صحيح؛ لأن حركات اللسان والشفتين والصوت الذي يخرج من الفم مخلوقة. وهذا المعنى هو الذي فهمه بعض أهل الحديث كأبي حاتم الرازي وعبد الله بن سعيد الأشج ومحمد بن داود المصيصي حين قالوا ردًا على الجهمية: ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة. يعنون أن القرآن غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة. ولكن لما كانت هذه العبارة مجملة ولم يقلها الصحابة ولا التابعون، كان الواجب تركها وعد الخوض فيها ولهذا خطَّأهم أهل السنة وأنكروا عليهم هذه المقالة لأمرين:

أ- أنها مسألة مبتدعة تدرع بها المبتدعة للتوصل إلى القول بخلق القرآن، فوجب سد الباب عليهم.

ب- أنها تحتمل الباطل، فإنك إن قلت: لفظي بالقرآن مخلوق. احتمل أن يكون المراد اسم المفعول أي: الملفوظ به وهو القرآن مخلوق وهذا هو قول الجهمية. وإن قلت: لفظي بالقرآن غير مخلوق. احتمل أن يكون المراد المصدر أي: اللفظ وهو فعل العبد غير مخلوق. وهذا قول المعتزلة القائلين بأن أفعال العباد ليست مخلوقة للعباد. ولهذا قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي. ومن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع. وفصَّل بعض أهل السنة في ذلك تفصيلا جليا فقالوا: كلام الله ووحيه وتنزيله بألفاظه ومعانيه غير مخلوق. وأفعال العباد وأصواتهم مخلوقة، فالصوت صوت القاري والكلام كلام الباري.[1]

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (٧/ ٦٥٥-٦٥٨)، و"شرح الواسطية" لابن عثيمين (٢/ ٩٥)، و"الروضة الندية شرح الواسطية" (ص١٣٣).

❁ ولهذا فالناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحذرنا من هذه الفرقة بقوله: **(ولا تَقُلِ القُرآنُ خَلقًا قرأَتَهُ)** أي: لا تقل: قراءتي بالقرآن مخلوقة. والعلة في نهي الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قول اللفظية هي المبينة في قوله: **(فإنَّ كَلامَ اللهِ باللفْظِ يُوضَحُ)** أي: أن القرآن كلام الله ألفاظه ومعانيه، ليس كلام الله اللفظ دون المعنى ولا المعنى دون اللفظ، وإنما اللفظ يوضح به المعنى، ويبين المراد، ويجلي المقصود.

▪ **مسألة: هل ثبت أن الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يقول: لفظي بالقرآن مخلوق؟**

لم يثبت عن البخاري ولا عن محمد بن نصر المروزي أنهما قالا هذه المقولة: (لفظي بالقرآن مخلوق)، وإنما سأله بعض التلاميذ عن اللفظ في القرآن؟ فأعرض عنه البخاري مرتين ثم سأله فقال البخاري: أفعالنا مخلوقة وألفاظنا من أفعالنا. فوقع بين الناس اختلاف – مع زحمة المكان– فقال بعضهم: قال لفظي بالقرآن مخلوق، وقال بعضهم لم يقل فوقع بينهم خلاف. ونقل بعض الحساد عن البخاري أنه يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، وشنع عليه محمد بن يحيى الذهلي، فقال الذهلي: من زعم أن لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع ولا يجالس ولا يكلم، ومن ذهب بعد هذا إلى محمد بن إسماعيل فاتهموه؛ فإنه لا يحضر مجلسه إلاّ من كان على مذهبه. حينئذ وقعت الوحشة وانقطع الناس عن مجلس البخاري إلا مسلم بن الحجاج وأحمد بن سلمة فإنهما فضلًا مجلس البخاري على مجلس الذهلي.

وصنف الإمام البخاري كتابه "خلق أفعال العباد" فأثبت فيه أن القرآن منزل غير مخلوق، وأنه من الله بدأ وإليه يعود، وأن الله تعالى يتكلم بصوت، إلى غير ذلك مما هو معتقد أهل الحق، فتبين بذلك البيان براءة البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مما نسبت إليه اللفظية النافية من الاعتقاد الباطل.

وفي هذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هـذا الـذي نصـت عليـه أئمـة الـ ... إسـلام أهـل العلـم والعرفـانِ
وهـو الـذي قصـد البخـاري الرضـي ... لكـن تقاصـر قاصـر الأذهـانِ
عـن فهمـه كتقاصـر الأفهـام عـن ... قـول الإمـام الأعظـم الشـيباني
في اللفـظ لمـا أن نفـى الضـدين ... عنـه واهتـدى للنفـي ذو عرفـانِ
فـاللفظ يصـلح مصـدرا هـو فعلنـا ... كـتلفظ بـتلاوة القـرآنِ
وكـذاك يصـلح نفـس ملفـوظ بـه ... وهـو القـرآن فـذان محـتملانِ
فلـذاك أنكـر أحمـد الإطـلاق في ... نفـي وإثبـات بـلا فرقـانِ[1]

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (١٢/ ١٩٧-٣٠٦)، و(٧/ ٦٥٥)، و"مختصر الصواعق" (ص٥١٢)، و"شروح نونية ابن القيم".

الإيمان برؤية الله تعالى يوم القيامة

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٦) وَقُــلْ: يَتَجَلَّــى اللهُ لِلْخَلْــقِ جَهْــرَةً كَمَـا الْبَـدْرُ لَا يَخْفَـى، وَرَبُّـكَ أَوْضَـحُ

الشرح:

ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت إثبات رؤية الله عز وجل.

ورؤية الله تعالى على قسمين:

القسم الأول: رؤية الله تعالى في الدنيا.

ولها حالتان:

الحال الأولى: في حال اليقضة.

لم يرى الله تعالى أحد في الدنيا بعينيه في حال اليقضة بإجماع الأمة، وذلك لضعف قوى البشر، وقد نقل الإجماع شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجموع الفتاوى (٢/ ٣٣٥)، و(٦/ ٥١٠) وابن كثير في ‹تفسيره› لسورة النجم، وابن أبي العز في شرح الطحاوية ص٣٥٨، وخالف بعض الصوفية فزعموا أن الله يُرى في الدنيا عيانا في حال اليقضة، والصوفية لا يعتد بهم في الإجماع.

ودليل امتناع الرؤية في الدنيا ذلك:

١): قوله تعالى لموسى وقد طلب رؤية الله: ﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ أي: في الدنيا، ثم بين السبب بقوله: ﴿وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ

جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣].

٢): ما رواه مسلم عن بعض أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت».

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ: وإنما لم نره في الدنيا لعجز أبصارنا، لا لامتناع الرؤية، فهذه الشمس إذا حدق الرائي البصر في شعاعها ضعف عن رؤيتها، لا لامتناع في ذات المرئي، بل لعجز الرائي، فإذا كان في الدار الآخرة أكمل الله قوى الآدميين حتى أطاقوا رؤيته. ولهذا لما تجلى الله للجبل، ﴿خَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: ١٤٣]، بأنه لا يراك حي إلا مات، ولا يابس إلا تدهده.اهـ[1]

- **مسألة: هل رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ربه تعالى في الدنيا ليلة المعراج؟**

أجمع العلماء على أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لم ير ربه تعالى في ليلة المعراج بعيني رأسه.

والدليل على ذلك ما يلي:

١- عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي، وَلَا تُعْجِلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى**

---

(١) انظر: "شرح الطحاوية لابن أبي العز" بتحقيقنا (ص٣٧٢).

صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»، فَقَالَتْ: أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]؟، قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]. رواه مسلم[(١)].

٢- **عن أبي ذر، قال:** سألت رسول الله ﷺ، هل رأيت ربك؟ قال: «**رأيت نورًا**»[(٢)]. أي: رأيت نور الحجاب، وأما الله تعالى فلم أره، وقد جاءت رواية صريحة مبينة لهذا وهي قوله: «**نور أنى أراه**»: النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته، فأنى أراه؟ أي فكيف أراه والنور حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته؟ فهذا صريح في نفي الرؤية.

وقد نقل شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره الإجماع على أن النبي ﷺ لم ير ربه بعيني رأسه في الدنيا، وإنما حصل الخلاف من ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وغيره في رؤية النبي ﷺ لربه بفؤاده لا بعيني رأسه.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨) ورواية: «**نور أنى أراه**» معلة؛ فإنها من طريق يزيد بن إبراهيم التستري روايته عن قتادة متكلم فيها، وقد خالفه هشام الدستوائي، وهمام بن يحيى فروياه عن قتادة بلفظ: «**رأيت نورًا**». وهذا هو الصحيح.

والصحيح: أننا لا نثبت هذه الرؤية القلبية؛ لأنه لا دليل يدل عليها، فلم يرد بها حديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولا عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإنما ورد ثبوت ذلك عن ابن عباس وأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقد علمت أن مستندهما في هذا القول هو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣] وهذه الآية قد جاء تفسيرها عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بأنها رؤيته لجبريل عليه السلام لا رؤيته لربه تعالى، فإذا بطل ما استدلا بها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فلا وجه للقول بثبوت رؤية القلب، إلا أن يحمل كلامهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا برؤية القلب أي: زيادة العلم واليقين والإيمان، فهذا لا شكَّ فيه ولا إشكال، فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رآى من الآيات في المعراج ما ازداد به إيمانا وعلما ويقينا – والله أعلم–.[(١)]

الحال الثانية: رؤية الله في المنام.

رؤية الله تعالى في المنام جائزة بإجماع العلماء؛ لحديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد وغيره وفيه: «**رأيت ربي في أحسن صورة**»[(٢)].

القسم الثاني: رؤية الله تعالى في الآخرة.

وهي في موضعين:

الموضع الأول: رؤية الله تعالى في أرض المحشر –عرصات القيامة–.

وهذه الرؤية عامة لجميع الناس في أرض المحشر للمؤمن وللكافر وللمنافق، إلا أن رؤية الكفار والمنافقين لربهم رؤية تعريف وتعذيب، وأما رؤية المؤمنين فهي رحمة ونعيم.

واستدل العلماء لذلك بما يلي:

---

(١) انظر: "شرح الطحاوية لابن أبي العز" بتحقيقنا (ص٣٧٨).

(٢) انظر: شرح مسلم (٢٢٦٨)، وبيان "تلبيس الجهمية" (١/ ٣٢٦)، و"مجموع الفتاوى" (٥/ ٢٥١).

١- الأدلة التي فيها ذكر لقاء الله تعالى وهي كثيرة ومنها: قوله تعالى: ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه﴾، وقوله: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾، واللقاء يدل على الرؤية والمعاينة. **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية.اهـ[(١)]

٢- **روى مسلم في صحيحه**[(٢)]: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة، ليست في سحابة؟**» قالوا: لا، قال: «**فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر، ليس في سحابة؟**» قالوا: لا، قال: «**فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم، إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، قال: فيلقى العبد، فيقول: أي فل ألم أكرمك، وأسودك، وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى، قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نسيتني**». فهذا الحديث ظاهر في رؤية هذا الكافر لربه ومخاطبته له سبحانه وتعالى.

٣- **حديث عدي بن حاتم** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **قال**: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان**». متفق عليه[(٣)]، فمن جاز تكليمه جاز رؤيته.

واستدلوا بحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن ناسا قالوا لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**هل تضارون في**

---

(١) انظر: "حادي الأرواح" (ص٢٨٨).

(٢) برقم (٢٩٦٨).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٤٣) ومسلم (١٠١٦).

الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**فإنكم ترونه، كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه**». فقوله: «**فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون**» دليل على أنهم قد رأوه في أرض المحشر، ولفظ حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أصرح فإنه قال: «**حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال: فما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد**». متفق عليه[(١)].

وأما قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، فهذه الآية دليل على رؤيتهم لله في أول الأمر ثم يحجبون عنه؛ لأن الحجب يكون بعد الرؤية، فهذا الحجب بعد المحاسبة؛ فإنه قد يقال: حجبتُ فلانا عني، وإن كان قد تقدم الحجب نوع رؤية؛ وهذا حجب عام متصل، وبهذا الحجب يحصل الفرق بينهم وبين المؤمنين؛ فإنه سبحانه وتعالى يتجلى للمؤمنين في عرصات القيامة بعد أن يحجب الكفار كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة، ثم يتجلى لهم في الجنة عموما وخصوصا دائما أبدا سرمدا.

وهذا القول هو اختاره شيخ الإسلام وابن القيم والهراس رَحِمَهُمُ اللَّهُ.[(٢)]

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢).

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى" (٣/ ٣٩٠)، و"حادي الأرواح" (ص٢٨٨)، و"شرح الواسطية" للهراس (ص٢٠١).

الموضع الثاني: رؤية الله تعالى في في الجنة.

وهذه الرؤية خاصة بمن يدخل الجنة، فهي للمؤمنين، وأدلتها كثيرة جدا.

١): قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢|٢٣].

وهذه الآية صريحة في رؤية الله تعالى وذلك من وجهين:

الوجه الأول: أنه أظاف النظر إلى الوجه، وهذا دليل على أنها رؤية بالأبصار؛ لأن الرؤية إذا أظيفت إلى الوجه دل ذلك على أنها بآلته، وآلة النظر هي العين فهي رؤية حقيقية، ولذلك أضيفت إلى الوجه.

الوجه الثاني: أنه عدي بـ (إلى) وهذا يقتضى المعاينة بالأبصار[(١)].

وبهذين الوجهين يظهر بطلان قول أهل البدع في تحريف الآية ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ بقولهم: أي منتظرة ثواب ربها.

٢): وقال الله تعالى :﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥]. وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والصحابة من بعده.

٣): وقال تعالى :﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]. قال الامام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: لما حجب هؤلاء اي الكفار في حال السخط على أن أولياءه يرونه في حال الرضا.

٤): وقال تعالى: ﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:٢٣].

---

(١) فإن النظر له عدة استعمالات، بحسب صِلاته وتعديه بنفسه: ١): فإن عدي بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار، ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]. ٢): وإن عدي بـ «في» فمعناه: التفكر والاعتبار، كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥]. ٣): وإن عدي بـ «إلى» فمعناه: المعاينة بالأبصار، كقوله تعالى: ﴿انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ٩٩]. فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؟. انظر: "شرح الطحاوية لابن أبي العز" (ص٣٦٠).

٥): وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلِكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان:٢٠]. هذه قراءة، والمراد بالملك الكبير؟ هو الله جل جل له.

وأما الأحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، الدالة على الرؤية فمتواترة، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن.

١): حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا، قال: «**فإنكم ترونه كذلك**» الحديث، أخرجاه في الصحيحين بطوله[(١)]. وحديث أبي سعيد الخدري أيضًا في الصحيحين نظيره[(٢)].

٢): حديث جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا جلوسًا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: «**إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا، لا تضامون[(٣)] في رؤيته**» الحديث أخرجاه في الصحيحين[(٤)].

٣): حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن**

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦) ومسلم (١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣).

(٣) قوله: (لا تضامون) يجوز فتح التاء وتشديد الميم مأخوذ من الضَّم وهو الزحام أي: لا ينضم بعضكم إلى بعض ولا يقول أرنيه بل كل ينفرد برؤيته. ويجوز ضم التاء وتخفيف الميم مأخوذ من الضيم وهو الظلم يعني لا ينالكم ظلم بأن يرى بعضكم دون بعض بل تستوون كلكم في رؤيته تعالى. وأما رواية: تضارون أي: لا يلحقكم ضرر في رؤية الله بل كل واحد يراه من مكانه.

(٤) أخرجه البخاري (٧٤٣٥) ومسلم (٦٣٣).

يروا ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» أخرجاه في الصحيحين[(١)].

٤): حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه، وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، فليقولن: ألم أبعث إليك رسولًا فيبلغك؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: ألم أعطك مالًا وأفضل عليك؟ فيقول، بلى يا رب**». أخرجه البخاري في صحيحه[(٢)].

٥): حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه النسائي وغيره، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «**اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الغنى والفقر، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين**»[(٣)].

وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيًا.

والناظم أشار في هذا البيت إلى رؤية الله تعالى، فقال:

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٧٨) ومسلم (١٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٣) بهذا اللفظ وهو في مسلم (١٠١٦).

(٣) صحيح: أخرجه النسائي (١٣٠٥)، وابن حبان (١٩٧١) والبزار (١٣٩٣) والحاكم (١٩٢٣) من طريق حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، قال: كنا جلوسا في المسجد، فدخل عمار بن ياسر فذكره. وهذا إسناد صحيح، فحماد بن زيد ممن سمع من عطاء بن السائب قبل اختلاطه.

❁ **(وَقُلْ)** أيها السني **(يَتَجلَّى اللهُ)** التجلي هو الظهور والبيان أي: يظهر، **(للخَلْقِ)** أي: في عرصات القيامة لجميع الخلائق للمؤمن وهو في حقة رحمة ونعيم، وللكافر والمنافق وهو في حقهم عذاب وعقوبة.

❁ **(جَهْرةً)** أي: عياناً جهاراً ليس بينهم وبين الله ما يحجبهم عنه **(كَمَا البَدْرُ لا يَخْفى)** البدر: هو القمر ليلة الرابع عشر عندما يمتلئ نوراً، فإنه لا يخفى على أحد، بل يراه جميع الناس **(وَرَبُّكَ أَوْضَحُ)** أي: رؤية الله تعالى أوضح من رؤية القمر، وهذا إشارة إلى حديث جرير حديث جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا جلوسًا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**» - **يَعْنِي الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ** -، **ثُمَّ قَرَأَ** جَرِيرٌ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].

ولما اشتبه هذا الحديث على الممثلة فاعتقدوا أنه يقتضي المماثلة بتشبيه الله تعالى بالقمر، رفع الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الإشكال في البيت الآتي، بأننا لا نمثل الله تعالى بالقمر، وإنما هذا تشبيه للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي، فهو تشبيه لوضوح رؤية القمر بوضوح رؤية الله، لا تشبيه للمرئي وهو الله سبحانه بالمرئي وهو القمر.

تنزيه الرب جل جلاله عن مماثلته للمخلوقات

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٧) وَلَـيْسَ بِمَوْلُـودٍ، وَلَـيْسَ بِوَالِـدٍ وَلَـيْسَ لَـهُ شِـبْهٌ - تَعَـالَى الْمُسَـبَّحُ -

الشرح:

❁ ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت أن الله سبحانه وتعالى منزَّه عن النقائص، ومن النقائص التي تنسب إلى الله سبحانه وتعالى: نسبة الولد إلى الله، ونسبة الأب إليه، ولهذا قال: (وَلَيْسَ بمْولُودٍ وليسَ بِوَالِدٍ): أي ليس الله تعالى بمولود أي: تفرع عن غيره، بمعنى أنه تعالى عن أن يكون له أب أو أم، وأيضا ليس الله تعالى بوالد أي: تفرع عنه غيره، بمعنى أنه تعالى عن أن يكون له أولاد، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص].

وهذا رد على ثلاث طوائف ممن جعل لله سبحانه وتعالى الولد وهم:

١): اليهود. ٢): النصارى. ٣): المشركون.

أما اليهود فقال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ} [التوبة:٣٠].

وأما النصارى فقال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ} [التوبة:٣٠].

وأما المشركون فقال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ} [البقرة:١١٦]، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لـ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ} [الصافات:١٥٣- ١٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ

مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا} [مريم:٨٨-٩٣].

❁ **فائدة:** سورة الإخلاص سميت بذلك، لأنها خالصة لله سبحانه وتعالى، ولهذا كانت تعدل ثلث القرآن، **فالقرآن ثلاثة أقسام:**

القسم الأول: توحيد وما يتعلق به.

القسم الثاني: أحكام أو أمر أو نهي.

القسم الثالث: قصص.[(١)]

وسورة الإخلاص من القسم الأول، ولهذا كانت تعدل ثلث القرآن.

❁ **وقوله: (وَلَيسَ لهُ شِبْهٌ تَعَالَى المسَبَّحُ):** أي ليس لله تعالى مثيل، فالسلف إذا اطلقوا نفي التشبيه فمرادهم نفي التمثيل.

ونفي التمثيل أولى وأصح من نفي التشبيه لأمور وهي:

١): أن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١].

٢): أن نفي التشبيه يوهم معنى فاسد عند أهل البدع وهو نفي الصفات.

٣): أن نفي التشبيه على الاطلاق غير صحيح؛ لأن ما من شيئين من الأعيان أو من الصفات إلا وبينهما اشتراك ولو من بعض الوجوه، والاشتراك نوع تشابه، ولهذا فالتمثيل مذموم على الإطلاق بخلاف التشبيه[(٢)].

وهذه الآية التي أشار إليها الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى:١١] قاعدة لأهل السنة في الرد على طائفتين:

---

(١) انظر: " مجموع الفتاوى " (١٧/ ٢٠٧) و "مدارج السالكين " (٣/ ٤١٧).

(٢) انظر: "شرح القواعد المثلى " (ص٦٦)، و"شرح العقيدة الواسطية " (١/ ١١١)، و "مجموع الفتاوى " (٣/ ٦٩) و(٦/ ١١٣).

الطائفة الأولى: النفاة الذين نفوا الصفات كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فهذه الآية رد عليهم لأنه قال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ فهذا إثبات للصفات.

الطائفة الثانية: الممثلة الذين مثلوا الله بخلقه وقالوا: الله له يد كيد المخلوق، وله سمع كسمع المخلوق، فهذه الآية رد عليهم لأنه قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

* **فالقاعدة عند أهل السنة مخالفة للطائفتين**: إثبات الصفات لله تعالى إثباتا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل.

❁ **قوله**: **(تَعَالَى المسَبَّحُ)** أي: ارتفع قدره وجل شأنه وتعاظم أن يكون له شبيه أو نظير فهو ينزه الله عن ذلك، ولهذا قال: **(المسَبَّحُ)** أي: المنزَّه؛ لأن التسبيح في اللغة التنزيه، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات:١٥٩]. وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات:١٨٠]. فلا يجوز أن تصف الله بالنقائص فالله منزه عن النقص، بل يجب علينا أن ننفي عن الله تعالى ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله من صفات النقص، كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب، فيجب نفيها عن الله تعالى مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، فالله تعالى منزَّه عن الظلم لكمال عدله، منزَّه عن العجز لكمال قدرته، منزه عن الموت لكمال حياته وهكذا.

وتأمل إلى قول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(تَعَالَى المسَبَّحُ)** هذه هي طريقة أهل السنة في النفي وهو أن يكون النفي نفيا مجملا لا مفصلا. فطريقة الكتاب والسنة غالبًا: (الإثبات المفصل) وهو أن يتناول كل اسم أو صفة وردت في الكتاب والسنة بعينها. و(الإجمال في النفي) وهو أن ينفى عن الله تعالى كل ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص على سبيل الإجمال. وقد يأتي الإثبات مجملا وذلك على سبيل الندور مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ﴾ [النحل:٦٠]. وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]. وقد يأتي النفي مفصلا كقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]

- **مسألة : ما مناسبة ذكر هذا البيت بعد رؤية الله تعالى؟**

الجواب : أنه لما ذكر في البيت السابق أن الله سبحانه وتعالى يُرى في الآخرة، أراد أن يبيِّن أن رؤية الله لا تماثل رؤية المخلوق، وأراد أيضا الرد على أهل البدع الذين فهموا التمثيل من قوله عليه الصلاة والسلام: إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر قال أهل السنة: هذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي.

إنكار الجهمية لرؤية الله تعالى

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٨) وَقَـدْ يُنْكِـرُ الْجَهْمِـيُّ هَـذَا، وَعِنْـدَنَا ... بِمِصْـداقِ مَـا قُلْنَـا حَـدِيثٌ مُصَـرَّحُ

٩) رَوَاهُ (جَرِيـرٌ) عَـنْ مَقَـالِ (مُحَمَّـدٍ) ... فَقُـلْ مِثْـلَ مَـا قَـدْ قَـالَ فِـي ذَاكَ تَـنْجَحُ

الشرح:

ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذين البيتين المخالفين لأهل السنة في مسألة الرؤية وهم فرقتان:

الفرقة الأولى: الصوفية الذين يقولون: إن الله يرى في الدنيا وفي الآخرة.

الفرقة الثانية: الجهمية الذين يقولون: إن الله لا يرى لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وأما أهل السنة فهم وسط: يقولون: إن الله لا يرى في الدنيا، ويرى في الآخرة.

من شبهات الجهمية على نفي الرؤية قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف:١٤٣] قالوا معنى الآية: لا تراني في الدنيا ولا في الآخرة.

والدليل على هذا التفسير الصحيح من وجوه:

١): أن الله قال: ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف:١٤٣]. فعلق الرؤية بثبات الجبل، وتعليق الشي بالشيء الممكن يدل على إمكانه وجوازه.

٢): أن موسى عليه الصلاة والسلام سأل ربه الرؤيا وهو أعلم الناس بربه في ذلك الوقت فلا يليق أن يسأل ربه ما لا يجوز.

٣): أنه قال: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ ولم يقل: لا أرى أو لا يمكنك رؤيتي.

٤): أن الله عز وجل أخبر أن عدم رؤيتنا له إنما هو لعدم القدرة على ذلك حيث قال تعالى: ﴿وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾. فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟

٥): أن الله عز وجل لم ينكر على موسى هذا السؤال كما أنكر على نوح عندما سأل نوح ربه فقال: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود:٤٥]. فقال الله له: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود:٤٦]. **وأما** سؤال موسى ما أنكر الله عليه ولكن أخبره بعدم إمكان الرؤيا.

٦): أن الله تجلى لجماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته؟!

ومن شبهاتهم في نفي الرؤية: قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ [الأنعام:١٠٣]. قالوا معنى الآية: لا تراه الأبصار.

والجواب عن هذه الشبهة: أن الإدراك معناه الإحاطة بالشيء من جميع جوانبه. وعلى هذا فالله سبحانه وتعالى يُرى دون أن يحاط به، فنفي الإدراك في الآية صحيح. فكما أننا نرى السماء ولكننا لا نحيط بها رؤية، فالسماء كبيرة عظيمة ولا أحد يستطيع أن يرى السماء رؤية إحاطة.

والدليل على أن الإدراك قدر زائد على الرؤية قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا﴾ أي: لسنا بمدركين. فلم ينف موسى الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فدل هذا على أن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية.

وعلى هذا فهذه الآية دليل على أن الله يرى يوم القيامة؛ لأن مفهوم الآية أن الله تعالى يُرى ولكن بدون أن تدركه الأبصار[١].

❁ **وقد أشار الناظم إلى إنكار الجهمية لرؤية الله بقوله: (وَقدْ يُنكِرُ الجَهْميُّ)** أي: أن الجهمية ينكرون **(هَذَا)** أي رؤية الله تعالى يوم القيامة **(وعِنْدَنَا)** أي: نحن معاشر أهل السنة والجماعة. **(بِمِصْدَاقِ ما قُلْنَا)** أي: بتصديق الذي قلناه وهو إثباتنا للرؤية **(حَدِيثٌ مُصَرّحُ)** أي: صريح الدلالة على إثبات الرؤية، ليس بالتخرصات والآراء، بل بالنصوص من الكتاب أو السنة.

❁ **وقوله: (رَوَاهُ جَرِيرٌ)** أي: رواه الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه **(عن مَقَالِ مُحمَّدٍ)** عن قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحديث في الصحيحين[٢] عن جرير بن عبد الله، وهو يقول: كنا جلوسا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «**أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها**» - يعني العصر والفجر -، ثم قرأ جرير ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].

❁ **وقوله: (فقُلْ)** يا أيها المسلم السني السلفي **(مِثْلَ ما قَدْ قَالَ)** أ:ي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا مثل ما يقوله الجهمية المعطلة النفاة **(في ذَاكَ)** أي: في الرؤية **(تَنْجَحُ)** أي: بذلك يكون نجاحك، والنجاح هو الظفر ونيل المقصود، وهو هنا الظفر بفضل الله، وتحقيق المعتقد الحق، والفوز بسعادة الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: "حادي الأرواح" (ص١٩٧)، و "شرح الطحاوية لابن أبي العز" بتحقيقنا (ص٣٦٥).
(٢) أخرجه البخاري (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣).

إثبات صفة اليدين لله تعالى

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٠) وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ

الشرح:

هذا البيت فيه إثبات صفة اليدين لله سبحانه وتعالى، فاليدان صفة ثابتة لله سبحانه وتعالى صفة ذاتية لله سبحانه وتعالى، فأهل السنة يثبتون لله يدين حقيقيتين تليق بجلاله من دون تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف.

والأدلة من القرآن على إثبات صفة اليدين لله سبحانه وتعالى كثيرة ومنها:

قال الله تعالى ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة:٦٤]، وقال: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص:٧٥]. وقال: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} [الزمر: ٦٧]. وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح:١٠]. وقال: ﴿قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران:٢٦].

والأدلة من السنة على ثبوت صفة اليدين لله تعالى:

١- حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(١).

٢- حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الشفاعة، وفيه: «فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ»(٢).

٣- حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ»(٣).

٤- حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ يَمِينَ اللهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الفَيْضُ، يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ»(٤).

٥- حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»(٥).

٦- حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٦٠).
(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٠) ومسلم (١٩٤).
(٣) أخرجه البخاري (٧٥١٨) ومسلم (٢٨٢٩).
(٤) أخرجه البخاري (٤٦٨٤) ومسلم (٩٩٣).
(٥) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ» وكان يقول: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ، وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ»(١).

٨- حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ، تَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾». متفق عليه(٢).

وقد أجمع السلف الصالح على إثبات صفة اليدين لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلال الله تعالى.

- **مسألة : هل نثبت لله يدا واحدة أم اثنتين أم أكثر من ذلك؟**

الجواب: لله سبحانه وتعالى يدان حقيقيتان تليق بجلال الله سبحانه وتعالى، لقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ولحديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وكلتا يديه يمين**».

وأما ما جاء في الأدلة من إفراد اليد أو جمعها فالجواب عنه كما يلي:

أما الإفراد فكقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١]. **فله جوابان:**

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١٧٦٣٠) و ابن ماجه (١٩٩) وغيرهما من طرق عن عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر حدثني بسر بن عبيد الله الحضرمي، أنه سمع أبا إدريس الخولاني، يقول: سمعت النواس بن سمعان الكلابي يقول فذكره. وهذا إسناد صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١١) ومسلم (٢٧٨٦).

١): أن ما يصنع بالاثنتين ينسب إلى الواحد تقول: رأيت بعيني. وأنت رأيته بعينيك، لكن يجوز أن تقول: رأيته بعيني. وتقول هكذا: سمعت بأذني. وأنت سمعته بأذنيك.

٢): أن المفرد إذا أضيف أفاد العموم.

وأما الجواب عن الجمع فكقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس:٧١]. فالجواب عنه أيضًا **من وجهين**:

١): أن الجمع للتعظيم.

٢): أن أقل الجمع اثنان، فيطلق الجمع ويراد به الاثنين كقوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم:٤]. أي: قلباكما.[١]

- **مسألة : هل نطلق على اليد الأخرى شمال؟**

الجواب: لا يجوز أن نطلق عليها لفظة الشمال، لأمرين:

١): أنه جاء تسميتها في الأدلة باليمين، كما في حديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وكلتا يديه يمين**».

٢): أن أسماء الله تعالى توقيفية، ولم يأت في الأدلة تسميتها بالشمال.

وأما ما جاء في مسلم (٢٧٨٨) من طريق: عمر بن حمزة، عن سالم بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر: «**يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَى، ثُمَّ يَقُوْلُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُوْنَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُوْنَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرْضِيْنَ السَّبْعَ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ. ثُمَّ يَقُوْلُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُوْنَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُوْنَ؟**». ففي سنده: عمر بن حمزة العمري، وهو ضعيف، وقد تفرد بذكر: [الشمال]، وفي جميع الروايات:

---

(١) انظر: "شرح الواسطية" للهراس (ص١١٥)، و"شرح الواسطية" للعثيمين (١/ ٢٩٩).

«يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْأُخْرَى». بدل: (بشماله) وهو الموافق لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ».

فرواية عمر بذكر "الشمال" منكرة، هذا هو الصحيح أن كلتا يدي الله يمين -لا شمال ولا يسار فيهما- وقد رجح هذا الإمام ابن خزيمة في (كتاب التوحيد)، والإمام أحمد، والبيهقي، والألباني.

تنبيه: من العلماء من أثبت لله الشمال اعتمادا على هذا الحديث، وقالوا: معنى: «وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ» من حيث البركة والشرف فكلتا يديه يمين، وأما من حيث التسمية فله يمن وشمال. وقد ذهب إلى هذا الإمام عثمان بن سعيد الدارمي، وأبو يعلى الفراء، ومحمد بن عبد الوهاب النجدي، وصديق حسن خان، ومحمد خليل الهراس، وعبد الله الغنيمان. قال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا فيه إثبات اليدان لله عز وجل وأن أحداهما تسمى: "يميناً"، والأخرى تسمى: "شمالاً"، وهي شمال من جهة الاسم، وأما من حيث المعنى والشرف فكلتا يديه يمين مباركة، ليس في شيء منها نقص، ولهذا قال في الرواية الأخرى: «وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ».[1]

❁ **وقوله: (وَقَدْ يُنكِرُ الجَهْمِيُّ أَيضًا يَمِيْنَهُ)** أي: أن الجهمية وهكذا المعتزلة أيضا ينكرون صفة اليدين، فينكرون وينفون هذه الصفة عن الله تعالى **(وَكِلْتَا يَدَيْهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ)** الفواضل جمع فاضلة، وهو الخير والجود والكرم والعطاء **(تَنْفَحُ)** أي: تعطي، فالنفح هو العطاء الواسع الكثير، قال الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [سورة المائدة: من الآية٦٤]، وفي حديث أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما**

(١) انظر: "فتح العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد" (٣/ ٦٢٤-٦٢٥).

أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم ينقص ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الفيض - أو القبض - يرفع ويخفض». متفق عليه.

وأما الأشاعرة فيحرفون صفة اليد بأن المراد بها النعمة أو القدرة، وهذا باطل؛ لأنه خلاف ظاهر النصوص، وخلاف طريقة السلف، وليس عليه دليل صحيح، ولأن في السياق ما يمنع تفسيرهما بذلك قطعًا، كقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، فإنه لا يسوغ أن يقال: خلقه الله بقدرتين أو بنعمتين، فهذا لم يقع في كلامه، ولا في كلام رسوله، ولو ثبت استعمال ذلك بلفظ التثنية لم يجز أن يكون المراد به ههنا القدرة، فإنه يبطل فائدة تخصيص آدم. فإنه وجميع المخلوقات حتى إبليس مخلوق بقدرته سبحانه. فأي مزية لآدم على إبليس في ذلك.

وقد جاء في صفة اليدين ما يدل على أنها يد حقيقية:

١): اليمين، كما في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»**[(١)].

٢): الكف، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ»**[(٢)].

٣): الأصابع، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ،**

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٤).

كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»(١).

٤): **القبض والبسط**، كقوله تعالى: ﴿وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ [البقرة:٢٤٥].

٥): **الأخذ**، كحديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يحكي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَأْخُذُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَنَا اللهُ - وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا - أَنَا الْمَلِكُ» حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟(٢).

٦): **الأنامل**، كما في حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ. رواه أحمد والترمذي.

٧): **الإمساك**، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر:٤١].

٨): **الطي**، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

٩): **الحث**، كما في حديث أبي أمامة قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَلَا عَذَابٍ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سبعين أَلْفًا وَثَلَاثَ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي»(٣).

وهذه الصفات لا تكون إلا لليد الحقيقية، وفي ذلك رد على أهل البدع.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٨٨).

(٣) حسن: أخرجه أحمد (٢٢٣٠٣) والترمذي (٤٣٧) وابن ماجه (٤٢٨٦) من طرق عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد، عن أبي أمامة. وهذا إسناد حسن.

إثبات صفة النزول لله تعالى

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١١) وَقُلْ: يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ... بِلَا كَيْفٍ - جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدَّحُ -

١٢) إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ ... فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ

١٣) يَقُولُ: أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا ... وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا، فَيُمْنَحُ

١٤) رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ ... أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقَبَّحُوا

الشرح:

هذا البيت فيه إثبات صفة النزول لله سبحانه وتعالى لما رواه الإمام البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[1].

جاء هذا الحديث عن جماعة من الصحابة وتواتر عنهم، فقد رواه أكثر من عشرين نفسا من الصحابة، فهي صفة فعلية تليق بالله تعالى، نثبتها له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا ولا تمثيل.

- **مسألة : متى ينزل الله جل جلاله؟**

الجواب : ينزل في كل ليلة في الثلث الأخير من الليل.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨).

وأما رواية ينزل "نصف الليل" أو "الثلث الأول من الليل"، فالراجح أنها روايات ضعيفة، وهي وهَمٌ من الراوي، وأكثر الرواة يروونه بلفظ: "الثلث الأخير" من الليل، كما نبه على هذا شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- **مسألة : إلى أين ينزل الله تعالى؟**

الجواب : ينزل ربنا جل جلاله إلى السماء الدنيا التي هي قريبة من الأرض.

❁ **وإلى هذا أشار الناظم بقوله:** **(وقُل)** أي: قل أيها السني **(يَنْزِلُ الجَبَّارُ)** وهو الله تعالى **(فِي كُلِّ لَيْلَةٍ)** أي: هذا النزول في كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير.

❁ **وقوله:** **(بِلا كَيْفَ)** أي: نثبت هذه الصفة من دون أن نكيِّف هذا النزول بأن نتخيل له كيفية في أذهاننا، أو أن نسأل عنها بكيف.

هذه عقيدة أهل السنة، وبهذا نعرف بطلان ما افتراه بعضهم على شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه نزل عن المنبر وقال: "ينزل الله كنزولي هذا".

وقد نقل هذه القصة المؤرخ ابن بطوطة في رحلته، وهو كذب وافتراء على شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنه كان في السجن في الوقت الذي مرَّ فيه ابن بطوطة على مدينة دمشق، بل قد قيل: إن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يخطب جمعة قط في دمشق.

وأيضا فإن عقيدة شيخ الإسلام في "شرح حديث النزول" تدل دلالة واضحة على بطلان هذه الفرية، فقد قرر فيه إبطال تمثيل نزول الله بنزول المخلوقين في مواضع، وهو القائل رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمؤمنون يرون حقا ربهم وإلى السماء بغير كيف ينزل

❁ **فائدة:** التكييف هو: أن تتخيل لصفات الله كيفية معينة في ذهنك دون أن تقيدها بمماثل.

وأما (التمثيل) فهو أن تتخيل لصفات الله كيفية معينة في ذهنك وتقيدها بمماثل في الخارج.

وعلى هذا: فكل ممثل مكيف، وليس كل مكيف ممثل[(١)].

- **مسألة : هل لصفات الله تعالى كيفية؟**

الجواب: نعم، الله سبحانه وتعالى لصفاته كيفية لكننا لا نعلم هذه الكيفية؛ لأن الله أخبرنا عن صفاته ولم يخبرنا عن كيفيتها. ولهذا لما سئل مالك رحمه الله تعالى عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] كيف استوى؟ أطرق رَحِمَهُ ٱللَّهُ برأسه حتى علاه الرُحَضاء (العرق) ثم قال: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"[(٢)].

❁ **قوله: (جَلَّ)** أي: عظم قدر الله تعالى **(الواحدُ)** المتفرد في ذاته وأفعاله وصفاته **(المتَمَدِّحُ)** أي: الذي يمدحه المؤمنون ويثنون عليه فهو الذي أسبغ على العباد من النعم وأولاهم من العطاء ما يوجب مدحهم له، وحسن الثناء عليه وحمده،

---

(١) انظر: "فتح رب البرية بتلخيص الحموية" (ص١٩)، و"القواعد المثلى" بتحقيقنا (ص٨٧).

(٢) صحيح: أخرجه الدارمي في "الرد على الجهمية" (١٠٤) والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٨٦٦) والصابوني في "عقيدة السلف" (ص١٨١)، واللالكائي في "شرح اعتقاد أهل السنة" (٦٦٤) من طرق صحيحة عن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وقد صح نحو هذا عن سفيان بن عيينة ويحيى بن يحيى، وجاء عن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ولكنه ضعيف، أخرجه الصابوني في "عقيدة السلف" ص(١٨٠)، واللالكائي في "شرح اعتقاد أهل السنة" (٦٦٣)، وابن بطة في "الإبانة" (١٢٠) من طرق عن أبي كنانة محمد بن أشرس الأنصاري قال: ثنا أبو عمير الحنفي، عن قرة بن خالد، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة في قوله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] قالت أم سلمة: الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإقرار به إيمان والجحود به كفر. وفي إسناده محمد بن أشرس أبو كنانة وهو متهم في الحديث، وأبو المغيرة الحنفي مجهول. انظر: "مختصر العلو" ص (١٤١).

وهو جل وعلا لا يحصي أحد الثناء عليه، وهو سبحانه يثني عليه ويمدح على أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وعلى نعمه وعطاياه التي لا تعد ولا تحصى.

❁ **وقوله: (إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا)** الجار والمجرور متعلق بقوله: **(يَنْزِلُ الجَبَّارُ)**، و**(طَبَقِ الدُّنْيَا)** هي السماء الدنيا، فـ(الطبق) بمعنى الغطاء، والسماء غطاء للأرض.

❁ **وقوله: (يَمُنُّ بِفَضْلِهِ)** أي: المن هو البذل والعطاء فينزل سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا ليعطي ويتفضل على العباد بالخيرات وأنواع الهبات **(فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ)** أي: تنشق وتنفتح أبواب السماء، وقد جاء ما يدل على ذلك في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي، يَهْبِطُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلَهُ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ**»[(١)].

❁ **وقوله: (يَقُولُ)** أي: يقول الله سبحانه عندما ينزل، فالقائل هو الله؛ خلافا للمبتدعة الذين يقولون: إن الذي ينزل هو أمره أو رحمته أو بعض ملائكته؛ وهذا باطل؛ **لأمور:**

أحدها: أن أمره ورحمته وملائكته دائبا تنزل آناء الليل وآناء النهار وفي كل ساعة، فما بال ثلث الليل خص بنزول رحمته وأمره وملائكته من بين أوقات الليل والنهار.

الثاني: أن أمره أو رحمته أو ملائكته لا يمكن أن تقول: «من يدعوني فأستجيب له»، ثم إذا نزلت الرحمة إلى السماء الدنيا ولم تنزل إلينا، فأي منفعة لنا في ذلك؟!.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣٦٧٣) فقال: عبد الصمد حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا أبو إسحاق الهمداني عن أبي الأحوص عن ابن مسعود به. وهذا إسناد صحيح، وهو في الصحيح المسند للعلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (٨٤٣).

الثالث: أن ألفاظ الحديث تبطل التأويل بنزول أمره أو رحمته أو ملائكته، ففي بعض الروايات أن الرب تعالى يقول إذا نزل: «لا أسأل عن عبادي أحدا غيري». وهذا لا يمكن أن يقوله إلا الله.

❁ **وقوله**: (أَلَا مُسْتَغْفِرٍ): (أَلَا) أداة تدل على التحضيض، فهو يحض على الاستغفار (يَلْقَى غَافِرًا) فهو سبحانه الغفور ذو الرحمة: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

❁ **وقوله**: (مُسْتَمْنِحٌ) أي: ألا من يطلب المنح وهو العطاء (فَيُمْنَحُ) أي فيمنحه الله حاجته ويعطيه سؤله، فإن خزائنه ملأى لا يغيضها نفقة.

❁ **وقوله**: (رَوَى ذَاكَ) أي: روى أحاديث النزول، فالإشارة بقوله: (ذَاكَ) إلى النزول الإلهي (قوم لا يرد حديثهم) أي: الرواه الذين رووا حديث النزول ثقات أثبات لا يرد حديثهم بل يتلقى بالقبول، والحديث متواتر، نص على ذلك غير واحد من الأئمة (أَلَا خَابَ قَوْمٌ) أي: خسر الذين (كَذَّبُوهُمْ) أي: كذبوا هؤلاء الرواة الأثبات الذين نقلوا النزول عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَقُبِّحُوا) أي: أبعدوا عن الخير.

وفي إثبات صفة النزول دلالة على علو الله تعالى، ولهذا أورد الإمام الذهبي رحمه الله هذه المنظومة بكاملها في كتابه (العلو) في سياق ما نقله عن الأئمة من نقول في تقرير علو الله على خلقه.

▪ مسألة: استشكل بعضهم نزول الرب تعالى إلى سماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل والثلث الأخير يختلف من بلد إلى بلد؟

الجواب: هذا الاستشكال إنما نتج عن تصور مماثلة الخالق بالمخلوق، وإلا فالله على كل شيء قدير، فكما أننا نؤمن بأن الله تعالى يقول لكل مصل يقرأ الفاتحة ويقول ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين} يقول الله تعالى له: حمدني عبدي، وإذا قال:

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قال: مجدني عبدي. الحديث مع أنه في نفس الوقت يشترك الملايين في قراءة الفاتحة ومع ذلك نؤمن بأن الله يجيب كل مصل فيما يقوله، فيجب علينا أن نؤمن بنزول ربنا ما دام الثلث الأخير موجودا، وقد ذكر هذا العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: وأورد المتأخرون الذين عرفوا أن الأرض كروية وأن الشمس تدور على الأرض إشكالا؛ قالوا: كيف ينزل في ثلث الليل؟ وثلث الليل إذا انتقل عن المملكة العربية السعودية؛ ذهب إلى أوربا وما قاربها؟ أفيكون نازلا دائما؟ فنقول: آمن أولا بأن الله ينزل في هذا الوقت المعين، وإذا آمنت؛ ليس عليك شيء وراء ذلك، لا تقل كيف؟ وكيف؟ بل قل: إذا كان ثلث الليل في السعودية؛ فالله نازل، وإذا كان في أمريكا ثلث الليل؛ يكون نزول الله أيضا، وإذا طلع الفجر؛ انتهى وقت النزول في كل مكان بحسبه.اهـ[1]

(١) انظر: "شرح الواسطية" لابن عثيمين (٢/ ١٧).

فضل الخلفاء الراشدين

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥) وَقُلْ: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ (مُحَمَّدٍ) (وَزِيرَاهُ) قِدْمًا، ثُمَّ (عُثْمَانُ) الْأَرْجَحُ

١٦) وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ (عَلِيٌّ) خَلِيفُ الْخَيْرِ، بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ

الشرح:

هذان البيتان ذكرهما الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبيان فضيلة الخلفاء الراشدين.

ومعتقد أهل السنة والجماعة أن خير الناس وأفضل الناس بعد نبينا محمد عليه الصلاة والسلام هو أبو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم علي.

❁ **وفي هذا يقول الناظم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقُلْ)** أي: يا أيها السني السلفي **(إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ)** أي: أفضل الناس وأزكاهم بعد محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **(وَزِيراهُ قُدْمًا)** وهما: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، والوزير هو المعين للملك الذي يحمل عنه أثقاله ويشير عليه ويعينه، **(قُدْمًا)** اسم زمان من القدم، أي: هما وزيران له منذ بداية الدعوة، لأن نصرتهم للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت قديمةً.

فضل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فأما أبو بكر فهو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن مرة التيمي، أول الرجال إسلامًا، وأفضل الأمة على الإطلاق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وخلافته كانت بالنص الخفي من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والإشارة، كتقديم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إياه إمامًا في الصلاة مقامه أيام مرضه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وهو في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وجاء في الصحيحين عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتت امرأة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تقول الموت، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ**»(١).

وفي الصحيحين أيضا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ، عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ، ضَعْفٌ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ**»(٢).

وأما فضله فقال تبارك وتعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠].

وجاء في البخاري عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مُحَاوَرَةٌ، فَأَغْضَبَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ فَانْصَرَفَ عَنْهُ عُمَرُ مُغْضَبًا، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٩) ومسلم (٢٣٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٢١) ومسلم (٢٣٩٢).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَنَحْنُ عِنْدَهُ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَّا صَاحِبُكُمْ هَذَا فَقَدْ غَامَرَ**» قَالَ: وَنَدِمَ عُمَرُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، فَأَقْبَلَ حَتَّى سَلَّمَ وَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَقَصَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الخَبَرَ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: وَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ لَأَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي، إِنِّي قُلْتُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ**»[1].

والأحاديث في فضل الصديق كثيرة جدا، قد أفردت بالتصنيف.

وأما ما منحه الله تعالى من المواقف العظيمة مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من حين بعثته إلى أن توفاه الله عز وجل من نصرته والذب عنه والشفقة عليه والدعوة إلى ما دعا إليه وملازمته إياه ومواساته بنفسه وماله، وتقدمه معه في كل خير، فأمر لا تدرك غايته، ثم لما توفى الله عز وجل نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان من رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن ولاه أمرهم بعد نبيه، وجمعهم عليه بلطفه، فجمع الله به شمل العرب بعد شتاته، وقمع به كل عدو للدين ودمر عليه وألف له الأمة وردهم إليه، بعد أن ارتد أكثرهم عن دينه وانقلب الغالب منهم على أعقابهم كافرين.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٤٠).

وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَوَاللهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ[1].

وتفاصيل مواقفه العظام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مشهورة مبسوطة في كتب السيرة وغيرها.

وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر، وكانت وفاته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في يوم الاثنين عشية، وقيل بعد المغرب ودفن من ليلته وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بعد مرض استمر به خمسة عشر يوما، وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصلي بالمسلمين، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان وقرئ على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا.

وكان سن الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم توفي ثلاثًا وستين سنة، السن الذي توفي فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقد جمع الله بينهما في التربة كما جمع بينهما في الحياة، رضي الله عنه وأرضاه، ومن جميع أبواب الجنة دعاه، وقد فعل ولله الحمد والمنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٤) ومسلم (٢٠).

فضل عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عمر هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب العدوي ثاني الخلفاء وإمام الحنفاء بعد أبي بكر رضي الله عنهما، وأول من تسمى بـ[**أمير المؤمنين**].

وكانت خلافته باستخلاف أبي بكر الصديق له، وقد تقدمت إشارات النصوص النبوية إلى خلافته قريبا مع ذكر أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وكثير من فضائله أيضا التي شارك فيها أبا بكر. وفي الصحيحين[(١)] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ، امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلاَلٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ " فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ.

وكان قصة استشهاده ما أخرجه البخاري[(٢)] رَحِمَهُ اللَّهُ قال عمر: لئن سلمني الله تعالى لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدًا، قال: فما أتت عليه رابعة حتى أصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب وكان إذا مر بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهن خللا تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأول حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر حتى سمعته يقول: قتلني الكلب حين طعنه، فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينًا ولا شمالًا إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٩) ومسلم (٢٣٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٠).

مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسًا فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه، وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى وأما نواحي المسجد فلا يدرون غير أنهم فقدوا صوت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس، انظر من قتلني.

فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة فقال: الصنع؟ قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام، فقد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة. وكان العباس أكثرهم رقيقًا. فقال: إن شئت فعلت. أي: إن شئت قتلنا. قال: كذبت، بعدما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم، وحجوا حجكم؟ فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه، فأتي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه، ثم أتي بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفاف، لا علي ولا لي. فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا علي الغلام، قال: ابن أخي ارفع ثوبك إنه أبقى لثوبك، وأتقى لربك. يا عبد الله بن عمر انظر ما علي من الدين، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفًا أو نحوه، قال: إن وفى له مال آل عمر فأده من أموالهم، وإلا فسل بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم، فأد عني هذا المال، وانطلق إلى عائشة فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه. فسلم

واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرن به اليوم على نفسي. فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذنت. قال: الحمد لله، ما كان من شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت لي فأذخلوني، وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا، فولجت عليه فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخلا لهم فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف. قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر -أو الرهط- الذين توفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو عنهم راض، فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن، وقال: ليشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء -كهيئة التعزية له- فإن أصابت الإمرة سعدًا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة. وقال: أوصى الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم. وأوصيه بأهل الأمصار خيرًا فإنهم ردء الإسلام وجباة المال وغيظ العدو وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيرا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشي أموالهم وترد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم. فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي. فسلم عبد الله بن عمر قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت: أدخلوه فأدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه.

فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان. وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف. فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فلنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه؟ فأسكت الشيخان فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلي والله على أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم. فأخذ بيد أحدهما فقال: لك من قرابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن. ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه وبايع له علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وولج أهل الدار فبايعوه، رضي الله عنهم أجمعين.

وكانت مدة خلافة الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عشر سنين وستة أشهر، وكانت وفاته على المشهور لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وله من العمر ثلاث وستون سنة على الأشهر، وهي السن التي توفي لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ثم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فضل عثمان ذي النورين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

❁ **وقوله: (ثُمَّ عُثْمَانُ أَرْجَحُ)** أي: ثم عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو ثالث الخلفاء.

واسمه عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، من السابقين الأولين إلى الإسلام بدعوة الصديق إياه، وزوجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رقية ابنته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهاجر الهجرتين وهي معه، وتخلف عن بدر لمرضها، وضرب له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بسهمه وأجره، وبعد وفاتها زوجه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أم كلثوم بمثل صداق رقية على مثل صحبتها وبذلك تسمى **(ذو النورين)**؛ لأنه تزوج ابنتي نبي واحدة بعد واحدة ولم يتفق ذلك لغيره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهو الذي جمع القرآن الكريم لما خشي الاختلاف في القرآن والخصام فيه في أثناء خلافته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فجمع الناس على قراءة واحدة وكتب المصحف على القراءة الأخيرة التي درسها جبريل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ آخر سني حياته.

وجاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَوَّى ثِيَابَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ - فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠١).

وهو الذي بايع عنه النبي في بيعة الرضوان حين ذهب لمكة في حاجة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والمسلمين، ففي الصحيحين[1] عن عثمان بن موهب قال: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ البَيْتَ، فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلاَءِ القَوْمُ؟ فَقَالُوا هَؤُلاَءِ قُرَيْشٌ، قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ، إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ فَحَدِّثْنِي، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ، أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، وَسَهْمَهُ**» وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُثْمَانَ وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ اليُمْنَى: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**». فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «**هَذِهِ لِعُثْمَانَ**» فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ.

وكان اعتداء الخوارج عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الجمعة لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين على الصحيح المشهور، وكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما؛ لأنه بويع له في مستهل المحرم سنة أربع وعشرين. وأما عمره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه قد جاوز ثنتين وثمانين سنة. والله أعلم.

❁ **وقوله: (ثُمَّ عُثْمَانُ أَرْجَحُ)** إشارة إلى أنه حصل خلاف في زمن التابعين في التفضيل بين عثمان وعلي بن أبي طالب، وذلك على ثلاثة أقوال:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٩٨).

١) ذهب بعض أهل الكوفة كأبي حنيفة والثوري إلى تقديم علي على عثمان.
٢) توقف بعضهم كمالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المسألة.
٣) ذهب جماهير العلماء والمسلمين إلى تفضيل عثمان على عليٍّ.

فهذه ثلاثة أقوال، ثم رجع أبو حنيفة والثوري وغيرهما إلى القول بتقديم عثمان على عليٍّ، فاستقر الإجماع على ذلك.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويقِرُّون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ويثلِّثون بعثمان، ويربعون بعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كما دلت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة، مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا -بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر- أيهما أفضل؟ فقدَّم قوم عثمان وسكتوا وربعوا بعلي. وقدَّم قوم عليا. وقوم توقفوا. لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم علي.اهـ(١)

ولهذا قال العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في " ألفيته ":

وَالأَفْضَلُ الصِّدِّيقُ ثُمَّ عُمَرُ ... وَبَعْدَهُ عُثْمَانُ وَهْوَ الأَكْثَرُ
أَوْ فَعَلِيٌّ قَبْلَهُ خُلْفٌ حُكِيْ ... قُلْتُ: وَقَوْلُ الوَقْفِ جَا عَنْ مَالِكِ
فَالسِّتَّةُ البَاقُونَ، فالبَدْرِيَّهْ ... فَأَحُدٌ، فَالبَيْعَةُ المَرْضِيَّهْ(٢)

وهنا مسألة يذكرها العلماء: هل يبدَّع من قدَّم عليًا على عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؟

لأهل العلم في هذه المسألة قولان هما روايتان عن الإمام أحمد؟

القول الأول: أنه ليس بمبتدع. وقد اختار هذا القول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في العقيدة الواسطية، حيث قال: وإن كانت هذه المسألة - مسألة عثمان وعلي - ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة لكن التي

(١) انظر: "العقيدة الواسطية" (ص ٢٦).
(٢) انظر: "التبصرة والتذكرة في علوم الحديث" ص(١٦٥).

يضلل فيها مسألة الخلافة.اهـ[١]

القول الثاني: أنه مبتدع. وهذا اختيار شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى[٢] وهذا القول هو الصحيح لأمور:

١- أن تقديم عثمان على علي كان بإقرار من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند البخاري[٣] بلفظ: كنا نُخيِّر بين الناس في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وفي رواية: ويسمع ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولا ينكره.[٤]

٢- أن القول بتقديم علي على عثمان طعن في الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقد قال عبد الرحمن بن عوف لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان. أخرجه البخاري[٥].

وقال أيوب السختياني من لم يقدم عثمان على علي فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار. نقله شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في مجموع الفتاوى عن أيوب السختياني وأحمد بن حنبل والدارقطني، ثم شرح الأثر فقال: فإنه وإن لم يكن عثمان أحق بالتقديم وقد قدموه كانوا **إما جاهلين بفضله وإما ظالمين بتقديم المفضول من غير ترجيح ديني**. ومن نسبهم إلى الجهل والظلم فقد أزرى بهم. ولو زعم زاعم أنهم قدموا عثمان لضغن كان في نفس بعضهم على علي وأن أهل الضغن كانوا ذوي شوكة ونحو ذلك مما يقوله أهل الأهواء: فقد نسبهم إلى العجز عن القيام بالحق

---

(١) انظر: "العقيدة الواسطية" (ص ٢٦).

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى" (٤/ ٤٢٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥٥).

(٤) أخرجه الطبراني (١٢/ ٢٨٥) وابن أبي عاصم في السنة (١١٩٣)، والخلال (٥٧٧) من طريقين عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بإسناد صحيح.

(٥) أخرجه البخاري (٧٢٠٧).

وظهور أهل الباطل منهم على أهل الحق. هذا وهم في أعز ما كانوا وأقوى ما كانوا. فمن جعلهم في مثل هذه الحال جاهلين أو ظالمين أو عاجزين عن الحق فقد أزرى بهم وجعل خير أمة أخرجت للناس على خلاف ما شهد الله به لهم. وهذا هو أصل "مذهب الرافضة" فإن الذي ابتدع الرفض كان يهوديا أظهر الإسلام نفاقا ودس إلى الجهال دسائس يقدح بها في أصل الإيمان. ولهذا كان الرفض أعظم أبواب النفاق والزندقة. ولهذا انضمت إلى الرافضة "أئمة الزنادقة" من الإسماعيلية والنصيرية وأنواعهم من القرامطة والباطنية والدرزية وأمثالهم من طوائف الزندقة والنفاق. فإن القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول قدح في الرسول عليه السلام كما قال مالك وغيره من أئمة العلم.اهـ[1]

٣- أن القول بتقديم علي على عثمان مخالف لما استقر عليه إجماع أهل السنة. ويحتمل -والله أعلم- أن مراد شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي في العقيدة الواسطية بعدم تبديع من خالف في هذه المسألة قبل أن يستقرَّ إجماع أهل السنة على تقديم عثمان على عليٍّ، بدليل كلامه الآخر.

وأما مسألة: ترتيب الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في الخلافة: فهذا أمر قد أجمع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والمسلمون على أنهم في الخلافة على هذا الترتيب: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي. ولا يخالف في هذه المسألة إلا مبتدع رافضي؛ لأنَّه مخالف للإجماع المتواتر. قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وذلك أنهم -أي: أهل السنة- يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أبو بكر وعمر ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله.اهـ[2].

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (٤/ ٤٢٦-٤٢٨).

(٢) انظر: "العقيدة الواسطية" (ص ٢٦)، و"مجموع الفتاوى" (٤/ ٤٢١).

فضل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

❁ **وقوله: (وَرابِعُهُم)** أي: رابع الصحابة في الفضل هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه **(خَيْرُ البريَّةِ بَعْدَهُم)** أي: خير الخليقة بعد أبي بكر وعمر وعثمان. **(عَلِيٌّ حَليفُ الخَيرِ)** أي: المحالف للخير الذي حليفه الخير دائمًا يحظى بالخير وينال الخير ويحصله دائمًا **(بالخَيرِ مُنْجِحُ)** من النجاح، وهو تحصيل المقصود والظفر به.

وهو أبو السبطين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه. كان أبو طالب عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أخًا شقيقًا لأبيه عبد الله وأمه فاطمة بنت عمرو، كفل أبو طالب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعد موت جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين، ولما بعث آواه الله تعالى به وحماه، وهو مع ذلك على دين قومه، ولله في ذلك حكمة.

ومن فضائل علي رضي الله عنه ما جاء في حديث سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُوْلَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لأُعطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ الله وَرَسُوْلَهُ وَيُحبُّهُ الله وَرَسُوْلُهُ يَفْتَحُ الله عَلَى يَدِيْهِ**»، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوْكُوْنَ لَيْلَتَهُم: أَيُّهُم يُعْطَاهَا؟ فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوا عَلَى رَسُوْلِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُلُّهُم يَرْجُوْ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**» فَقِيْلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيهِ. فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِي بِهِ، فبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، ودَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ: «**أُنْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ**

بِسَاحَتِهِم، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُم بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِم مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيْهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[(١)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهذا الحديث أصح ما روي لعلي من الفضائل" اهـ[(٢)]

وجاء في الصحيحين[(٣)] عن سعد بن أبي وقاص، قال: خَلَّفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ تُخَلِّفُنِي فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**».

فهذه المقالة تسلية لعلي رضي الله عنه لأنه لم يفارق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة من الغزوات، وليس هذا الاستخلاف باستمرار كما تقوله الرافضة، لأنه لو كان علي هو الخليفة باستمرار، لقدمه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرض موته يصلي بالناس، ولو كان علي هو الخليفة باستمرار لقال للمرأة إن لم تجديني فائت عليا، فعلم بهذا وغيره أن هذا استخلاف مؤقت مدة غياب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة تبوك فقط هذه المدة فقط علي خليفة على المدينة، ويدل على ذلك أيضا أن هارون مات قبل موسى، فليس معنى الحديث أنه استخلاف لعلي بعد موت النبي بدليل أنه قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، أي: عندما ذهب موسى لميقات ربه، جعل هارون مكانه خليفة له في وقت معين وهو وقت ذهابه لميقات ربه، فلما رجع موسى انتهى هذا الاستخلاف ثم مات هارون قبل موسى، فانظر إلى هذا التشبيه من نبينا عليه الصلاة والسلام، فهكذا علي استخلف مدة معينة في وقت غزوة تبوك على

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٢) ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) انظر: "منهاج السنة" (٥/ ٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤١٦) ومسلم (٢٤٠٤).

المدينة ثم رجع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانتهى هذا الاستخلاف فليس في هذا حجة للرافضة.

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيام خلافته على طريق الحق والاستقامة والتمسك بكتاب الله وهدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مجتهدًا في جمع شمل الأمة وإطفاء الفتن والتذفيف على أهل البدع حتى اعتدى على حياته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشقي عبد الرحمن بن ملجم الخارجي قبحه الله وقد فعل، وذلك يوم الجمعة في وقت الفجر وهو يقول: الصلاة الصلاة، فمكث يوم الجمعة وليلة السبت، وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة، فكانت مدة خلافته كلها أربع سنين وتسعة أشهر إلا ليال، وهو يومئذ أفضل من على وجه الأرض بالإجماع. وذلك مصداق ما روى الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما عن سفينة أبي عبد الرحمن مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا**» قال سفينة: فخذ سنتي أبي بكر وعشر عمر واثنتي عشرة عثمان وست علي رضي الله عنهم أجمعين[(١)].

قلت: سفينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حذف الزائد والناقص عن السنين من الأشهر على ما جرت به عادات العرب في حذف الكسور في الحساب، وعلى ما قدمنا ضبطه فأيام كل منهم لا تكمل ثلاثين إلا بخلافة الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي ستة أشهر، ثم أصلح الله به الفئتين من المسلمين كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وولي معاوية بذلك واجتمع الناس عليه وكان ذلك العام يسمى (عام الجماعة) وكان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول ملوك الإسلام وخيرهم.

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٢١٩١٩) وأبو داود (٤٦٤٦) والنسائي في الكبرى (٨٠٩٩) والترمذي (٢٢٢٦) وغيرهم من طرق عن سعيد بن جمهان به. وهذا إسناد حسن؛ لأجل سعيد بن جمهان فهو حسن الحديث، وقد حسنه العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيح المسند برقم (٤٣٧).

فضل العشرة المبشرون بالجنة

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٧) وَإِنَّهُمُ وَالرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيهِمُ عَلَى نُجُبِ (الْفِرْدَوْسِ) فِي الْخُلْدِ

١٨) (سَعِيدٌ) وَ (سَعْدٌ) وَ (ابْنُ عَوْفٍ) وَ (عَامِرُ فَهْرٍ) وَ (الزُّبَيْرُ) الْمُمَدَّحُ

الشرح:

ذكر الناظم رحمه الله في هذين البيتين فضيلة العشرة المبشرين بالجنة.

❁ **فقال:** **(وإنَّهمُ والرَّهْطُ)** أي: هؤلاء المذكورين من الصحابة الخلفاء الأربعة، وكذلك الذين سرد أسماءهم في البيت الآتي، **(الرَّهْطُ)** وهم عشيرة الرجل، ويطلق على ما دون العشرة، وقيل ما بين الثلاثة إلى العشرة. وفي بعض النسخ (والرهط) ولعله الأقرب، ويكون الضمير في قوله: **(وإنَّهمُ)** عائداً على الأربعة والرهط معطوف عليه، والمقصود بهم الستة المذكورون في البيت الذي بعده.ب

❁ **وقوله:** **(لا رَيْبَ فِيْهِمُ)** أي: لا شك فيهم أنهم من أهل الجنة **(عَلَى نُجُبِ)** جمع نجيب وهو أكرم المال وأنفسه، والمراد أنهم يسرحون في الجنة على نجب الفردوس وهي النوق الكريمة والخيل الكريمة يروحون عليها ويغدون في الجنة، فقد جاء في صحيح مسلم[1] عن أبي مسعود الأنصاري قال جاء رجل بناقة مخطومة، فقال

(١) أخرجه مسلم (١٨٩٢).

هذه في سبيل الله، فقال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ**».

ومقصود الناظم رحمه الله بهذا أن هؤلاء مقطوع لهم بالجنة شهد لهم بذلك رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

❁ **وقوله: (الفردوس)** هو اسم لأعلى الجنة وأوسطها، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**». رواه البخاري[(١)].

❁ **وقوله: (بِالنوُر تَسرحُ)** أي: بمن عليها من أهل النور والوضاءة والبهاء والحسن، (**تَسرحُ**) أي: تذهب حيث شاء راكبها، وفي بعض النسخ (**في الخلد تسرح**) والخلد هي الجنة؛ لأنها دار النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول.

ثم شرع الناظم رَحِمَهُٱللَّهُ **في ذكرهم:**

سعيد وسعد وابن عوف وطلحة وعامر فهر والزبير الممدح

هذا تفسير وبيان للرهط بذكر أسمائهم، وهؤلاء الستة مع الأربعة الخلفاء هم العشرة المبشرون بالجنة كما بشرهم بذلك النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ**». وقد جمعهم بعضهم فقال:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠).

للمصطفى خير صحب نص أنهم ... في جنة الخلد نصاً زادهم شرفاً
هم طلحة وابن عوف والزبير مع ... أبي عبيدة والسعدين والخلفاء

وإنما سمي هؤلاء بـ (العشرة المبشرين) بالجنة مع أن غيرهم أيضا قد بشر بالجنة؛ لأنهم ذكروا في حديث واحد.

❁ **وقوله**: (سَعِيدٌ) هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل، ابن عم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، (وسَعْدٌ) هو ابن أبي وقاص، (وابنُ عَوْفٍ) هو عبد الرحمن، (وطَلْحةٌ) هو ابن عبيد الله، (وعَامِرُ فِهْرٍ) هو أبو عبيدة عامر بن الجراح الفهري القرشي، (والزُّبَيْرُ) هو ابن العوام.

❁ **وقوله**: (المُمَدَّحُ) أي: الذي له المدائح الكثيرة.

وجوب ذكر الصحابة بالخير

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٩) وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي (الصَّحَابَةِ) وَلَا تَكُ طَعَّانًا تُعِيبُ وَتَجْرَحُ

٢٠) فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ وَفِي ﴿الْفَتْحِ﴾ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تُمْدَحُ

الشرح:

هذان البيتان ذكرهما الناظم رحمه الله في بيان موقف المسلم من الصحابة.

وحقوق الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ على الأمة من أعظم الحُقُوق فلهم على الأمة[(١)]:

١- محبتهم بالقلب والثناء عليهم باللسان بما أسدوه من المعروف والإحسان.

٢- الترحم عليهم والاستغفار لهم تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]. فذكر الله لمن جاء بعدهم صفتين هما: سلامة الصدر وسلامة اللسان.

٣- الكف عن مساوئهم التي إن صدرت عن أحد منهم فهي قليلة بالنسبة لما لهم من المحاسن والفضائل وربما تكون صادرة عن اجتهاد مغفور وعمل معذور لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»[(٢)].

---

(١) انظر: "شرح لمعة الاعتقاد" لابن عثيمين (ص١٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤٠) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

دع ما جرى بين الصحابة في الوغى بسيوفهم يوم التقى الجمعان
فقتيلهم منهم وقاتلهم لهم وجميعهم في الحشر مرحومان

❁ **وقد أشار الناظم إلى ذلك بقوله:** (**وَقُلْ خَيْرَ قولٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ**) أي: قل الخير والذكر الحسن في جميع الصحابة، فكلهم عدول أهل فضل ونبل، لأن الله تعالى أمرنا بأن نذكرهم بكل خير لما قاموا به من الخير الكثير في نصرة هذا الدين كما ذكر الله في سورة الحشر: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} [سورة الحشر: ١٠].

❁ **وقوله:** (**ولا تَكُ طَعَّانًا تَعِيْبُ وَتَجْرَحُ**) أي: لا تطعن ولا تجرح أحدا من الصحابة، وقوله: (**طَعَّانًا**): أي كثير الطعن، والمقصود النهي عن الطعن في الصحابة، وليس المقصود النهي عن المبالغة في الطعن، فقد يأتي على وزن (فعَّال) ملا يراد به المبالغة كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [سورة فصلت: من الآية٤٦] . أي: ليس بذي ظلم، وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش والبذيء**» أي: ليس بذي طعن وليس بذي لعن، هذا مع عموم المسلمين، فكيف بالأمر مع الصحابة المعدلين.

والطعن في الصحابة إنما هو طعن في الدين؛ لأن الطعن في الناقل طعن في المنقول؛ لأن الصحابة هم الذين نقلوا الدين، ولذا يقول أبو زرعة الرازي رحمه الله: "إذا رأيتم الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاعلموا أنه زنديق؛ لأن الدين حق، والقرآن حق وإنما نقل لنا ذلك الصحابة فهؤلاء أرادوا الجرح في شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة وهم بالجرح أولى وهم زنادقة"[(١)].

(١) انظر: "العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" (ص٣٤).

وروى مسلم في صحيحه[١] عن عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قالت لعروة بن الزبير: «**أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبُّوهُمْ**».

فتكفير الصحابة وتكذيبهم دسيسة من دسائس اليهود وليس المقصود به الطعن في الصحابة ذاتهم، وإنما المقصود الحيلولة بين الناس وبين الدين، وقد حذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من سب الصحابة أشد التحذير وأمر بالإمساك عن القدح فيهم أو الطعن.

وجاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ**»[٢].

❁ فالصحابة -رضي الله عنهم- لا يذكرون إلا بالخير والجميل والإحسان مع الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة والرضوان، ولهذا قال الناظم: **(فَقَدْ نَطَقَ الوَحْيُ)** وهو القرآن الكريم كلام الله **(المُبِينُ)** أي: الواضح البين الذي لا لبس فيه ولا غموض، والمبين للشرائع والأحكام، والموضح لطريق الحق والهدى من الباطل والضلال **(بِفَضْلِهِمْ)** أي: والثناء عليهم ومن ذلك: **(وفي الفَتْحِ آيٌ في الصَّحابةِ تَمْدَحُ)** أي: في سورة الفتح مواضع كثيرة مشتملة على مدح الصحابة: ففي أول السورة قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [سورة الفتح:٤] ثم بعدها بآيات قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ [سورة الفتح:١٠] .

---

(١) برقم (٣٠٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤٠).

ثم ذكر حال المخلفين من الأعراب، ثم قال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ [سورة الفتح:١٨] ، ثم بعدها بآيات قال: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ [سورة الفتح:٢٦] .

ثم ختم السورة بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [سورة الفتح: من الآية٢٩] .

فكل هذه الآيات في فضل الصحابة، بل الآية الأخيرة فيها ذكر فضل الصحابة في القرآن، وبيان فضلهم في التوراة والإنجيل، بذكر مثلهم في التوراة وهو أنهم ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ ومثلهم في الإنجيل وهو أنهم: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ .

وهذه الآية احتج بها بعض السلف منهم الإمام مالك على كفر الروافض؛ لأن الله يقول: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ .

قال العلامة ابن عثيمين: سب الصحابة على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يسبهم بما يقتضي كفر أكثرهم أو أن عامتهم فسقوا فهذا كفر؛ لأنه تكذيب لله ورسوله بالثناء عليهم والترضي عنهم، بل من شك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين؛ لأن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب أو السنة كفار أو فساق.

الثاني: أن يسبهم باللعن والتقبيح ففي كفره قولان لأهل العلم، وعلى القول بأنه لا يكفر يجب أن يجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عما قال.

الثالث: أن يسبهم بما لا يقدح في دينهم، كالجبن والبخل فلا يكفر ولكن يُعَزَّر بما يردعه عن ذلك، ذكر معنى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الصارم المسلول ونقل عن أحمد في ص: ٥٧٣، قوله: لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص فَمَنْ فعل ذلك أُدِّبَ فإن تاب وإلا جلد في الحبس حتى يموت أو يرجع.اهـ[1]

- **مسألة : من هم الذين خالفوا أهل السنة في مسألة الصحابة؟**

الجواب :خالف في هذه المسألة فرقتان هلكتا في الصحابة:

الفرقة الأولى: النواصب.

الذين نصبوا العداء لآل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأبغضوا عليا وأبغضوا فاطمة والحسن والحسين وأبغضوا آل النبي عليه الصلاة والسلام.

سموا نواصب لأنهم نصبوا العداء لآل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذه فرقة ضالة منحرفة فقد قال علي ابن أبي طالب والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلي ألا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق من أحبني أحبه الله ومن أبغضني أبغضه الله.

---

(١) انظر: "شرح لمعة الاعتقاد" (ص١٥٢).

الفرقة الثانية: الروافض الذين طعنوا في أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مؤسس هذه الفرقة هو عبد الله بن سبأ اليهودي وهو من يهود اليمن، ادعى الإسلام في زمن خلافة عثمان بن عفان، وهو أول من تكلم بسوء في صحابة رسول الله وأمهات المؤمنين، تستَّر بحب آل البيت، وكان يغلو في علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى ادعى الألوهية فيه، وتبعه على ذلك أقوام فسموا بالسبئية، فأحرق علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أصحاب هذه المقالة من قدر عليه منهم، فخد لهم أخاديد، وأحرقهم بالنار، وقال:

لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا ... أججت ناري ودعوت قنبرا

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وابن سبأ هذا أول من ابتدع الرفض، قال: وكان منافقا زنديقا، أراد فساد دين الإسلام كما فعل بولس صاحب الرسائل التي بأيدي النصارى، حيث ابتدع لهم بدعا أفسد بها دينهم، وكان يهوديا فأظهر النصرانية نفاقا لقصد إفساد ملتهم، وكذلك كان ابن سبأ يهوديا، فقصد ذلك وسعى في الفتنة فلم يتمكن، لكن حصل بين المؤمنين تحريش وفتنة، فقتل فيها عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتبع ابن سبأ جماعات على بدعته وضلالته، وقال هؤلاء: إن عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يمت، وإنما الذي قتله عبد الرحمن بن ملجم شيطان، وأما علي ففي السحاب، والرعد صوته والبرق سوطه، وإنه ينزل إلى الأرض ويملؤها عدلا، ويقولون عند الرعد: عليك السلام يا أمير المؤمنين.اهـ[1]

---

(١) انظر: "لوامع الأنوار" (١/ ٨٠).

- **سبب تسمية الرافضة بذلك:**

هم فرقة من الشيعة، سموا بذلك لرفضهم زيد بن علي، حين قالوا له: تبرأ من أبي بكر وعمر! فقال: معاذ الله أن أتبرأ من وزيري جدي. فرفضوه، فقال: أنتم الرافضة.

- **الفرق بين الرافضة والشيعة:**

الشيعي يطلق على كل من شايع عليًا وفضله على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فإن زاد وحطَّ من الشيخين فهو رافضي، فإن زاد السب والطعن في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فهو من غلاة الرافضة، وإن اعتقد الرجعة[١] فأشد الغلو. كما ذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[٢].

ويطلق عليهم الإمامية لاختيارهم اثني عشر إمامًا معصومًا من ولد علي لا يأخذون دينهم إلا منهم.

- **ومن أشهر عقيدتهم ومقالاتهم التي خالفوا فيها أهل السنة:**

١- يعتقدون أن القرآن محرف ومبدل، والمعتمد عندهم مصحف فاطمة.

٢- لا يعترفون بالسنة؛ لأن رواتها (الصحابة) كفارًا، والمعتمد عندهم أقوال أئمتهم الاثني عشرية التي هي كأقوال الله تعالى.

---

(١) وهي عودة أئمتهم إلى الدنيا بعد الموت، وعند بعضهم: رجوعهم بعد غيبتهم.

(٢) انظر: "فتح الباري" (١/ ٤٥٩). وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: الشيعي الغالي في زمان السلف وعُرْفِهم هو من تكلَّم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتعرض لسبّهم. والغالي في زماننا وعُرْفِنا هو الذي يُكَفِّر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين أيضًا، فهذا ضال مفتر.اهـ"ميزان الاعتدال" (١/ ٤٩).

ومن فرق الشيعة (الزيدية) وهم الذين يزعمون أنهم أتباع زيد بن علي. وفي الحقيقة هم العقيدة معتزلة، وفي الفقه حنفية، وفي الصحابة شيعة يشتمون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وقد بيَّن الإمام الوادعي حقيقة هذا المذهب في شريط له بعنوان : (المذهب الزيدي مبني على الهيام).

٣- يعتقدون كفر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وارتدادهم عن الدين إلا سبعة فقط، وقيل أربعة، وهم:

١- سلمان الفارسي. ٢- أبو ذر الغفاري. ٣- عمار بن ياسر. ٤- المقداد بن الأسود. ويبالغون في بغض أبي بكر وعمر ولعنهما، وفي بغض عائشة وحفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويتهمون عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بما برَّأها الله منها.

٤- يدَّعون لأئمتهم الألوهية، وأنهم لهم التصرف في الكون والإحياء والإماتة، وغير ذلك من خصائص الربوبية، بل يصفون الأئمة بالأسماء الحسنى، ويدعون أن أمور الآخرة بأيديهم كإدخال من شاؤوا الجنة أو النار.

٥- مهدي الرافضة هو محمد بن الحسن العسكري، يخرج فيحكم بغير شريعة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فيقتل العرب، ويحيي أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ليعذبهم، ويقيم الحد على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٦- من عقيدتهم: التقية، وهي ركن من أركان دينهم، لا سيما عند أهل السنة.

٧- من عقيدتهم: عقيدة الطينة وهي أنهم من جنس سامي فحسنات أهل السنة يجعلها الله لهم، وموبقات الشيعة توضع على أهل السنة.

قول أهل السنة فيهم:

الرافضة كفار بإجماع أهل العلم[١].

(١) انظر[انظر: "الشيعة والتشيع"، و"الفرق بين الفرق" و"مقالات الإسلاميين"].

وجوب الإيمان بالقدر

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٢١) بِالْقَــدَرِ الْمَقْــدُورِ أَيْقِــنْ، فَإِنَّــهُ دِعَامَــةُ عَقْــدِ الــدِّينِ، وَالــدِّينُ أَفْصَــحُ

الشرح:

في هذا البيت ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أصلا عظيما من أصول الدين وركنا من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالقدر، وقال عبد الله بن عمر: وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيْلِ الله مَا قَبِلَهُ الله مِنْهُ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ، ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإِيْمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(١)].

وجاء عن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيْمَانِ، حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيْبَكَ، سَمِعْتُ رَسُوْلَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُوْلُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اُكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اُكْتُبْ مَقَادِيْرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُوْمَ السَّاعَةُ**»[(٢)].

---

(١) برقم (٨).

(٢) صحيح لغيره: أخرجه أبو داود (٤٧٠٠) ومن طريقه البيهقي (٢٠٨٧٥) والطبراني في مسند الشاميين (٥٩) وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٤٨) عن عبادة به. وفي إسناده رجل مجهول، ولكن للحديث طرق أخرى يصح بها، ومنها: ما أخرجه أحمد (٢٢٧٠٥) وابن أبي شيبة (٣٧٠٧٢) من طرق عن معاوية بن صالح عن أيوب بن زياد عن عبادة بن الوليد بن عبادة عن أبيه عن عبادة بن الصامت به. ورجاله محتج

❁ **ولهذا قال الناظم**: **(وبِالقَدَرِ المقْدُورِ أيْقِنْ)** أي: بالقدر الذي قدره الله تعالى **(أيْقِنْ)** أي: لا يكن في قلبك أي شك في ذلك، فاليقين انتفاء الشك، وهو تمام العلم وكماله حتى يطمئن القلب بذلك.

❁ **(فإنَّهُ.. دِعَامَةُ عقْدِ الدِّينِ) (الدعامة)** بكسر الدال: عماد البيت وأساس البناء، و**(العِقد)** بكسر العين القلادة، فالدين عبارة عن عقد ينتظم أموراً كثيرةً، وله شعب متنوعة وأجزاء متعددة وأعمال وفيرة وله أعمدة ودعائم يقوم عليها بناؤه، والإيمان بالقدر هو أحد هذه الأعمدة والدعائم التي يقوم عليها هذا البناء، وهذا يؤكد أن زوال هذا الركن يؤدي إلى زوال الدين والإيمان، وانفراط هذا العقد المبارك.

❁ **وقوله**: **(والدِّينُ أفْيَحُ)** أي: واسع، فيه أعمال كثيرة، وطاعات عديدة، وعبادات متنوعة وأحكام جليلة، ولكنه يقوم على أعمدة راسخة وأسس متينة، ومن تلك الأعمدة الإيمان بالقدر.

القدر في اللغة: من التقدير، وهو وضع الشيء على نحو ما يريده واضعه.

وشرعًا: علم الله السابق بالأشياء، وكتابته لها في اللوح المحفوظ، وعموم مشيئته، وخلقه للأعيان والصفات القائمة بها[1].

بهم إلا أيوب بن زياد الحمصي، فقد روى عنه ثلاثة وذكره ابن حبان في الثقات، وحسن حديثه ابن المديني، كما في لسان الميزان.

(١) انظر: "جامع الرسائل" (٢/ ٣٥٥).

مراتب الإيمان بالقدر

١) **العلم**: أي الإيمان بأن الله سبحانه يعلم بالأشياء قبل وقوعها (أزلا)، جملة وتفصيلا، يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون[(١)].

٢) **الكتابة**: أي الإيمان بأن الله سبحانه كتب كل ما سيقع في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض.

ودليل المرتبتين السابقتين قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحج:٧٠] وحديث عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**كَتَبَ الله مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**» رواه مسلم[(٢)].

وهاتان المرتبتان سابقتان لوقوع الأمر، وإنكارهما مناف لأصل التوحيد.

٣) **المشيئة**: أي الإيمان بأن ما شاءه الله كان، وما لم يشأ لم يكن[(٣)].

---

(١) فقولنا: [يعلم ما كان] أي: في الماضي، [وما يكون] أي: في المستقبل، [وما لم يكن لو كان كيف يكون] أي: الممتنع، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾، ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾، وعلم الله سابق على الكتابة؛ لأنه من صفاته.

(٢) برقم (٢٦٥٣).

(٣) والمشيئة نوعان: ١) مشيئة الله السابقة أزلا ودليلها قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾. ٢) مشيئة مقارنة للفعل، وهي تابعة للمشيئة السابقة ودليلها قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ الآية. والأشاعرة أنكرت المشيئة التي تكون عند الفعل، وأثبتوا المشيئة القديمة، وإثباتهم لها ليس كإثبات أهل السنة والجماعة.

ودليله: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس:٨٢]، وأيضا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام:١١٢].

وللعبد مشيئة لكنها تحت مشيئة الله، قال تعالى: ﴿لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير:٢٨-٢٩].

٤) **الخلق**: أي الإيمان بأن الله سبحانه خلق كل شيء، خلق العباد وأفعالهم.

ودليله: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [الزمر:٦٢] وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات:٩٦].

وهاتان المرتبتان الأخيرتان مقارنتان لوقوع الأمر، وإنكارهما مناف لكمال التوحيد الواجب.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بجميع هذه المراتب الأربع، وقد جمعت في قول القائل:

علمٌ كتابةُ مولانا مشيئتُه وخلقُه وهو إيجادٌ وتكوينُ

فمن أنكر أي مرتبة من هذه المراتب فقد أنكر القدر.

ومنكروا القدر على قسمين:

١) **القدرية الغلاة**: أنكروا العلم السابق.

قالوا: بأن الله لا يعلم بالأمر قبل حدوثه، وهو مرادهم بقولهم: الأمر أُنُف، أي: مستأنف، بمعنى أنه أمر جديد من غير أن يكون سبق به علم من الله، ويلزم منه إنكار كتابة الله للمقادير[1]، وهذا القول أول ما حدث في الإسلام في أواخر عصر الصحابة،

---

(١) قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما من أنكر العلم القديم، فنص الشافعي وأحمد على تكفيره، وكذلك غيرهما من أئمة الإسلام. "جامع العلوم والحكم" برقم (٢). ومن غلو عمرو بن عبيد

وأول من ظهر ذلك منه في البصرة معبد الجهني[(١)]، وهؤلاء قد كفرهم الصحابة كابن عمر وابن عباس، وعبادة، وأبي بن كعب، وابن مسعود، وحذيفة، وزيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وقد ذكر الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ أنهم انقرضوا، ومراده أي: انقرض مذهبهم، ولا يمنع من وجود بعض أفرادهم، قال العلامة سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا المذهب قد ترك اليوم، فلا يعرف من ينسب إليه من المتأخرين من أهل البدع المشهورين.

٢) **القدرية غير الغلاة (ومنهم المعتزلة)**: أنكروا المشيئة وخلق الله لأفعال العباد.

قالوا: بأن الله لم يخلق أفعال العباد، وإنما العباد هم الذين يفعلونها، فهؤلاء سموا بمجوس هذه الأمة.

كما جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**القَدَرِيَّة مَجُوسُ هذه الأمة: إنْ مَرِضُوا فلا تَعودُوهُم، وإن ماتوا فلا تَشْهدوهُمْ**»[(٢)]، لأن المجوس يقولون:

المعتزلي الضال في القدر أنه قال: إِنْ كَانَ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد:١] في اللوح المحفوظ فما لله عَلَى ابْنِ آدَمَ حُجَّةٌ. وقال أيضا -لما ذكر له حديث ابن مسعود حدثني الصادق المصدوق (وقد رواه الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)- فَقَالَ: لَوْ سَمِعْتُ الأَعْمَشَ يَقُولُ هَذَا لَكَذَّبْتُهُ، وَلَوْ سَمِعْتُهُ مِنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ لَمَا صَدَّقْتُهُ، وَلَوْ سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُهُ مَا قَبِلْتُهُ، وَلَوْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ هذا لردتته، وَلَوْ سَمِعْتُ الله يَقُولُ لَقُلْتُ لَهُ: لَيْسَ على هذا أخذت ميثاقنا. انظر: ‹تاريخ الإسلام› (٣/ ٩٤١).

(١) أول من ابتدع بدعة القدر، رجل من أهل البصرة، يقال له: [سيسويه] من أبناء المجوس، وتلقاه عنه معبد الجهني، وغالب البدع من اليهود. "مجموع الفتاوى" (٧/ ٣٨٤).

(٢) حسن لغيره: أخرجه أبو داود (٤٦٩١) والحاكم (٢٨٦) والبيهقي (٢٠٨٦٩) من طريق عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن ابن عمر به. وهذا إسناد ضعيف؛ لأنه منقطع، فإن أبا حازم لم يسمع من ابن عمر، وقد اختلف في إسناده على أوجه مختلفة كما في العلل للدارقطني (٢٩٨٣) ورجح الدارقطني وقفه على ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ولكن للحديث شواهد يحسن بها، فمن أحسنها: عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٢٠٥) فقال: حدثنا علي بن عبد الله الفرغاني قال: نا هارون بن موسى الفروي قال: نا أبو

الكون له خالقان: خالق الخير، وخالق الشر، والقدرية قالو: الله خلق العبد، والعبد خلق فعله، فأثبتوا خالِقين.

وهؤلاء القدرية الغير غلاة مبتدعة ضلال.

ضمرة أنس بن عياض، عن حميد، عن أنس قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «القدرية، والمرجئة، مجوس هذه الأمة، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم». وهذا إسناد حسن، قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: الإسناد جيد وليس فيه ما يمكن أن يعل به من علة من تلك العلل التي سبقت الإشارة إليها، اللهم إلا ما قيل في حميد - وهو ابن أبي حميد الطويل - من التدليس عن أنس، لكن ذكر غير واحد من الأئمة أنه سمعه من ثابت عن أنس، فلا يضر تدليسه، كما أشار إلى ذلك الحافظ العلائي وغيره. ولعل هذا هو السر في كثرة أحاديثه في الصحيحين عن أنس معنعنة.اهـ الصحيحة برقم (٢٧٤٨).

وله شاهد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرجه الفريابي في القدر (٢٣٣) من طريق سليمان التيمي عن مكحول عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن لكل أمة مجوسا وإن مجوس هذه الأمة القدرية، فإن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم». وهذا إسناد ضعيف؛ وفيه انقطاع بين مكحول وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد رواه سليمان تارة عن رجل عن مكحول به. وجاء الحديث بزيادة: «وهم شِيعةُ الدَّجَّال، وحَقٌّ على الله أن يُلحِقَهم بالدَّجَّال» وهي ضعيفة، وقد حسن الحديث العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، وإنما أورده في الضعيفة (٥٧١٤) لأجل هذه الزيادة.

أنواع التقدير الإلهي

١) التقدير العام الأزلي وهو الذي في اللوح المحفوظ (لا يتغير ولا يتبدل).

ودليله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:٣٩]. وحديث عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«كَتَبَ الله مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»**.

٢) **التقدير البشري**. وهو الحاصل حينما أخذ الله الميثاق على ذرية آدم.

ودليله: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِين﴾ [الأعراف:١٧٢] وحديث هِشَامِ بْنِ حَكِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ أَنَبْتَدِئُ الْأَعْمَالَ أَمْ قَدْ قُضِيَ الْقَضَاءُ؟، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ الله أَخَذَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ أَفَاضَ بِهِمْ فِي كَفَّيْهِ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ، فَأَهْلُ الْجَنَّةِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ»**[1].

---

(١) صحيح بشواهده: أخرجه ابن جرير في تفسير سورة الأعراف رقم الآية (١٧٢)، وابن أبي عاصم في السنة (١٦٨) من طرق بقية، ثنا الزبيدي، عن راشد بن سعد، عن عبد الرحمن بن قتادة النصري، عن هشام بن حكيم به. وهذا إسناد ضعيف، فيه بقية بن الوليد مدلس تدليس تسوية، ولم يصرح بالسماع من شيخ شيخه، وقد حصل في إسناده اختلاف، لكن متن الحديث ثابت لكثرة شواهده، قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: له شواهد مرفوعة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جمع من الصحابة، وهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو وأبو هريرة وأبو أمامة وهشام بن حكيم أو عبد الرحمن بن قتادة السلمي على خلاف عنهما – ومعاوية بن أبي سفيان وأبو الدرداء وأبو موسى، وهي إن كان غالبها لا تخلوا أسانيدها من مقال، فإن بعضها يقوي بعضا، بل قال الشيخ صالح المقبلي في "الأبحاث المسددة": ولا يبعد دعوى

٣) التقدير العمري، وهو الذي كُتب على ابن آدم وهو في بطن أمه.

ودليله: حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ الله مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**» متفق عليه[١].

٤) التقدير السنوي. وهو الذي يقدره الله في ليلة القدر من كل سنة.

ودليله: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٣-٤].

٥) التقدير اليومي. وهو الوارد في قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩].[٢]

تنبيه: التقدير الأزلي لا يتغير ولا يتبدل، أما التقديرات الأخرى فيكون فيها تعليق، فيمحوا الله ما يشاء ويثبت منها، ويدل على ذلك قوله: «**لَا يَرُدُّ القَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي العُمْرِ إِلَّا البِرُّ**»[٣]، وفي الصحيحين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[٤].

التواتر= =المعنوي في الأحاديث والروايات في ذلك. اهـ، ولاسيما وقد تلقاها أو تلقى ما اتفقت عليه من إخراج الذرية من ظهر آدم وإشهادهم على أنفسهم، السلف الصالح من الصحابة والتابعين دون اختلاف بينهم...اهـ انظر: الصحيحة برقم (١٦٢٣).

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٩٤)، ومسلم برقم (٢٦٤٣).

(٢) انظر: "شفاء العليل" (ص٦).

(٣) حسن لغيره: أخرجه الترمذي (٢١٣٩) والبزار (٢٥٤٠) من طريق يحيى بن الضريس، عن أبي مودود، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان به. وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف أبي مودود البصري واسمه فضة، وللحديث شاهد عن ثوبان أخرجه أحمد (٢٢٣٨٦) وغيره، وقد حسنه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (١٥٤).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٢٠٦٧)، ومسلم برقم (٢٥٥٧).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرِّزْقُ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَا عَلِمَهُ الله أَنَّهُ يَرْزُقُهُ فَهَذَا لَا يَتَغَيَّرُ.

وَالثَّانِي: مَا كَتَبَهُ وَأَعْلَمَ بِهِ الْمَلَائِكَةَ فَهَذَا يَزِيدُ وَيَنْقُصُ بِحَسَبِ الْأَسْبَابِ فَإِنَّ الْعَبْدَ يَأْمُرُ الله الْمَلَائِكَةَ أَنْ تَكْتُبَ لَهُ رِزْقًا وَإِنْ وَصَلَ رَحِمَهُ زَادَهُ الله عَلَى ذَلِكَ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**». وَكَذَلِكَ عُمْرُ دَاوُد زَادَ سِتِّينَ سَنَةً فَجَعَلَهُ الله مِائَةً بَعْدَ أَنْ كَانَ أَرْبَعِينَ. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ عُمَرَ: اللهمَّ إنْ كُنْتَ كَتَبْتَنِي شَقِيًّا فَامْحُنِي وَاكْتُبْنِي سَعِيدًا فَإِنَّكَ تَمْحُو مَا تَشَاءُ وَتُثْبِتُ[1].

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (٨/ ٥٤٠). فائدة: قوله في الحديث: «ينسأ له في أثره» قيل معناه أن يبارك الله له في عمره فيوفقه الله تعالى إلى فعل الطاعات، فيصير كمن طال عمره.

وقيل: هو على ظاهره، وهو أن الصلة سبب في زيادة العمر، وكل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، فقد كتب فيه أن فلانا سيصل رحمه، وسيكون أجله في وقت كذا، وتغيير العمر يحصل في الصحف التي مع الملائكة، وأما اللوح المحفوظ فقد كتب فيه كل ما هو كائن إلى قيام الساعة قال الله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:٣٩]، ويؤيد صحة هذا التفسير حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عند أحمد (٢٥٢٥٩) وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم (١٦٢٩) أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار» وقد أعله الدارقطني في العلل (٣٥٨٠) ولكن له شواهد أخرى. وانظر "فتح الباري" (٥٩٨٥).

هل يجوز الخوض في القدر والبحث فيه بالعقل؟

الواجب على المسلم أن يؤمن بالقدر، ولا يدخل في تفاصيله، بل يكتفي بالإيمان به على ما جاء في الدليل من كتاب الله وسنّة رسوله، وينبغي للمؤمن أن يؤمن بتقدير الله، وأن الله غير ظالم له، وأنه مهما عمل فرحمة الله خير له من عمله، ولا يخوض في القدر؛ فإن أسلم الناس في القدر أبعدهم خوضا فيه، فإن الْقَدَرُ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ الله لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ مَلَكًا مُقَرَّبًا، وَلا نَبِيًّا مُرْسَلا، فلَا يَجُوزُ الْخَوْضُ فِيهِ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ بِطَرِيقِ الْعَقْلِ، بَلْ يُعْتَقَدُ أَنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ، فَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَهْلَ يَمِينٍ خَلَقَهُمْ لِلنَّعِيمِ فَضْلا، وَأَهْلَ شِمَالٍ خَلَقَهُمْ لِلْجَحِيمِ عَدْلا. قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩](١).

الناس في القدر ثلاث أقسام:

القسم الأول: الجبرية.

أثبتوا قدر الله تعالى وغلوا في إثباته حتى سلبوا العبد اختياره وقدرته، وقالوا: ليس للعبد اختيار ولا قدرة في ما يفعله أو يتركه، وهؤلاء قسمان:

١) الجهمية وهم الذين ينفون مشيئة العبد، فهو مجبور على أفعاله كالريشة في مهب الريح، حتى قال بعضهم: كل أفعال العبد طاعة لله، حتى الزنا وشرب الخمر والسرقة. وقد كفرهم العلماء؛ لأن قولهم يتضمن ظلم الله للكافرين حيث أدخلهم

(١) انظر: "شرح السنة" (١/ ١٤٤).

النار، ويلزم منه إبطال الرسالة، وغير ذلك، وقولهم هذا شر أقوال أهل البدع، وقد تبنى هذا القول: الجهم بن صفوان.

٢) الأشاعرة والماتريدية: يقولون للعبد مشيئة ولكنها لا تؤثر، في المقدور، فانكسار الزجاج مثلا وقع بقدر الله لا بفعل العبد، ولذا فإثباتهم لمشيئة العبد لفظي، وهم أرادوا التوفيق بين الجبرية والقدرية فجاءوا بنظرية الكسب، ومآلها إلى الجبر، ومسألة الكسب عندهم هي: أن الله فاعل فعل العبد، وأن عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا ومع إثبات الكسب قالوا: لا تأثير لقدرة العبد في أفعاله، وهذا لا يتصور[١].

القسم الثاني: القدرية المعتزلة.

أثبتوا للعبد اختيارا وقدرة في عمله وغلوا في ذلك حتى نفوا أن يكون لله تعالى في عمل العبد مشيئة أو خلق، ونفى غلاتهم علم الله به قبل وقوعه.

وقد تقدم بطلان قولهم، ومما يذكر في ذلك ما جاء عن القاضي عبد الجبار الهمذاني المعتزلي أنه دخل على الصاحب ابن عباد وكان معتزليا أيضا، وكان عنده الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني، فقال عبد الجبار على الفور: سبحان من تنزه عن الفحشاء! فقال أبو إسحاق: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء! فقال عبد الجبار

---

[١] ولهذا قيل:

ممـــا يقـــال ولا حـقيقـة تـــحته ... معقـــولة تدنـــو إلـــى الأفهـــام

الكســـب عنـــد الأشعـــري والحـــال ... عنـــد البهشمـــي وطـــفرة النـــظام

والمقصود بالحال هي الصفات المعنوية التي انفرد بإثباتها أبو هاشم دون سائر المعتزلة مع نفيه لصفات المعاني، أي أنه ينفي العلم والقدرة والإرادة، ثم يُثبت كونه عالمًا وقادراً ومُريداً.

وقوله: وطفرة النَّظَّام: النَّظَّام هو إبراهيم بن سيار بن هانئ المعروف بالنظام سمي بهذا لأنه كان ينظم الخرز في شبابه، وإليه تنسب فرقة النظامية من المعتزلة، ولد سنة (١٨٥هـ)، وتوفي سنة (٢٣١هـ)، وأما طفرته فهي قوله بـ[الطفرة] التي لم يسبق إليها، ومفادها دعواه أن الجسم قد يكون في المكان الأول ثم يصير منه إلى المكان العاشر من غير المرور بالأمكنة المتوسطة بينه وبين العاشر، ومن غير أن يصير معدومًا في الأول ومعاداً في العاشر. انظر: "الإيمان بالقضاء والقدر" للحمد (ص١٩٠).

وفهم أنه قد عرف مراده: أيريد ربنا أن يعصى؟ فقال أبو إسحاق: أيعصى ربنا قهرا؟ فقال له عبد الجبار: أرأيت إن منعني الهدى وقضى علي بالردى، أحسن إلي أم أساء؟ فقال له أبو إسحاق: إن كان منعك ما هو لك؛ فقد أساء، وإن كان منعك ما هو له، فيختص برحمته من يشاء. فانصرف الحاضرون وهم يقولون: والله ليس عن هذا جواب[(١)].

القسم الثالث: أهل السنة والجماعة.

وهم الطائفة الوسط الذين جمعوا بين الأدلة وسلكوا في طريقهم خير ملة، فآمنوا بقضاء الله وقدره؛ وبأن للعبد اختيارا وقدرة ومشيئة، لكن مشيئته مربوطة بمشيئة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيم * وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِين﴾ [التكوير:٢٨-٢٩].

- **مسألة: هل يصح الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي؟**

لا يجوز الاحتجاج بالقدر على المعاصي، بل هذا من فعل المشركين كما قال تعالى: ﴿لَوْ شَاء اللَّه مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُون﴾ [الأنعام:١٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللَّه مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِين﴾ [النحل:٣٥] قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أفعال العباد كلها من طاعات ومعاصٍ كلها مخلوقة لله كما سبق، ولكن ليس ذلك حجة للعاصي على فعل المعصية وذلك لأدلة كثيرة منها:

---

(١) انظر: "طبقات الشافعية" للسبكي (٤/ ٢٦١).

١- أن الله أضاف عمل العبد إليه وجعله كسبا له فقال: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر:١٧]، ولو لم يكن له اختيار في الفعل وَقْدرة عليه ما نُسِبَ إليه.

٢- أن الله أمر العبد ونهاه ولم يكلفه إلا ما يستطيع لقوله تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن:١٦]، ولو كان مجبورا على العمل ما كان مستطيعا على الفعل أو الكف؛ لأن المجبور لا يستطيع التخلص.

٣- أن كل واحد يعلم الفرق بين العمل الاختياري والإجباري، وأن الأول يستطيع التخلص منه.

٤- أن العاصي قبل أن يقدم على المعصية لا يدري ما قُدِّر له وهو باستطاعته أن يفعل أو يترك فكيف يسلك الطريق الخطأ ويحتج بالقدر المجهول، أليس من الأحرى أن يسلك الطريق الصحيح ويقول هذا ما قُدِّر لي؟!

وما أحسن ما قاله عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قدم الشام، فنادى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ. قَالَ أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ الله؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ الله إِلَى قَدَرِ الله، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ الله، وَإِنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ الله؟[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٢٩) ومسلم (٢٢١٩).

فيجب على المؤمن أن يسلك طريق الخير والهدى، لا أن يسلك طريق الشر والضلال، ويقول قدر الله علي !.

٥- أن الله أخبر أنه أرسل الرسل لقطع الحجة: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥]، ولو كان القدر حجة للعاصي لم تنقطع بإرسال الرسل. اهـ(١)

إشكال: إذا كان الاحتجاج بالقدر لا يجوز، فكيف الجواب عن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «**حَاجَّ مُوسَى آدَمَ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ الَّذِي أَخْرَجْتَ النَّاسَ مِنَ الجَنَّةِ بِذَنْبِكَ وَأَشْقَيْتَهُمْ، قَالَ: قَالَ آدَمُ: يَا مُوسَى، أَنْتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي - أَوْ قَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي - قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**»(٢).

والجواب: أن هذا الحديث لا يدل على الاحتجاج بالقدر على المعاصي (المعائب)، بل هو دليل على الاحتجاج بالقدر على المصائب لا على المعايب؛ فإن موسى عليه الصلاة والسلام أبعد من أن يلوم أباه على ذنب تاب منه، واجتباه ربه وهداه، وإنما لامه موسى عليه الصلاة والسلام على المصيبة وهي الإخراج من الجنة، لا على المعصية التي هي سبب الخروج (الأكل من الشجرة)، وهذه المصيبة من فعل الله، قدرها الله أزلا أنه سيخرج من الجنة، فلما توجه اللوم على المصيبة كانت الحجة لآدم؛ لأن المصيبة لا يلام عليها الإنسان، وإنما يلام على المعاصي قبل التوبة منها. وهذا الجواب أحسن الأجوبة، واختاره شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، وزاد ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ جوابا آخر وهو: أن الاحتجاج بالقدر على المعاصي جائز

---

(١) انظر: "التعليق المختصر على لمعة الاعتقاد" ص٩٤.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦١٤) ومسلم (٢٦٥٢). قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: والقدرية الذين ينكرون القدر يكذبون هذا الحديث؛ لأن من عادة أهل البدع أن ما خالف بدعتهم، إن أمكن تكذيبه كذبوه، وإلا حرفوه. اهـ "القول المفيد" (٢/ ٣٧٤).

ولكن بعد التوبة منها، فآدم احتج بالقدر بعد أن مضى وتاب من فعله، وليس كحال الذين يحتجون على أن يبقوا في المعصية، ويستمروا عليها، فالمشركون لما قالوا: ﴿لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُون} كذبهم الله؛ لأنهم لا يحتجون على شيء مضى ويقولون: تبنا إلى الله، ولكن يحتجون على البقاء في الشرك[١].

- **مسألة: ما هي ثمار الإيمان بالقدر؟**

من ثمرات الإيمان بالقدر:

أولاً: الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب، لأن السبب والمسبب كلاهما بقضاء الله وقدره.

ثانيًا: راحة النفس وطمأنينة القلب، لأنه متى علم أن ذلك بقضاء الله تعالى، وأن المكروه كائن لا محالة، ارتاحت النفس، واطمأن القلب، ورضي بقضاء الرب، فلا أحد أطيب عيشا وأريح نفسا وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر.

ثالثًا: طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد، لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب الخير والنجاح، فيشكر الله تعالى على ذلك، ويدع الإعجاب.

رابعًا: طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه، لأن ذلك بقضاء الله تعالى الذي له ملك السماوات والأرض، وهو كائن لا محالة، فيصبر على ذلك، ويحتسب الأجر. وإلى هذا يشير الله تعالى بقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِير * لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُور} [الحديد:٢٢-٢٣]اهـ[٢]

(١) انظر: "شفاء العليل" ص (١٨).

(٢) انظر: "عقيدة أهل السنة والجماعة" لابن عثيمين ص (٣٤).

وجوب الإيمان بفتنة القبر

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٢٢) وَلَا تَنكِرنَّ جَهْلاً (نَكِيرًا) وَ(مُنْكَرًا) .....

الشرح:

هذا البيت وما بعده متعلق بالإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان الستة، والإيمان باليوم الآخر هو: الإيمان بكل ما بعد الموت. ومنه الإيمان بفتنة القبر.

وقوله: (**وَلا تُنْكِرَنْ**) أي: لا تجحدن وتنفين (**جَهلاً**) أي: لأجل جهلك وقلة علمك (**نَكِيرًا ومُنْكَراً**) هذان ملكان من ملائكة الله، ورد تسميتهما بذلك في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ**»[1].

---

(١) حسن: أخرجه ابن حبان (٣١١٧) والترمذي (١٠٧١) وابن أبي عاصم في السنة (٨٦٤) والآجري في "الشريعة" (٨٥٨) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا قبر الميت - أو قال: أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير» الحديث. وهذا إسناد حسن؛ لأجل عبد الرحمن بن إسحاق العامري، قال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإسناده جيد، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم، وفي ابن إسحاق وهو العامري القرشي مولاهم كلام لا يضر.اهـ الصحيحة (١٣٩١). وقد ورد تسمية الملكين بمنكر ونكير في حديث البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الطويل كما عند الطبري في تهذيب الآثار (٧٢٣) والبيهقي في الشعب (٣٩١) إلا أن هذه الزيادة منكرة؛ لأنها من طريق عيسى بن المسيب، وهو ضعيف، وقد خالفه الثقات فلم يزيدوها في حديث البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وسبب هذه التسمية (**منكر ونكير**) لأنهما يأتيان على صورة منكره لم يعهدها الإنسان وليس فيها أنس للناظرين، ويسميان الفتانان؛ لأنهما يفتنان الناس في قبورهم. فالإيمان بالمنكر والنكير من الإيمان باليوم الآخر.

وقد خالفت المعتزلة في تسمية الملكين بهذين الاسمين، فقالوا: لا يصح أن يقال عن بعض ملائكة الله أنه منكر ونكير، فأنكروا هذا بالعقل وهذا من غلبة الجهل وقلة العلم من هؤلاء بالشرع.

❁ ولهذا قال الناظم: (جَهلاً) أي لا تنكرن يا صاحب السنة بسبب الجهل هذا الأمر. فيجب الإيمان بذلك؛ لأنه ثبت بذلك الدليل الصحيح. وهذا الإنكار باطل؛ لأنه مخالف للأدلة، والنكارة تأتي بسبب عدم معرفة الإنسان لهما كما قال الله عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال كثير من المعتزلة: لا يجوز تسمية ملائكة الله بمنكر ونكير. وإنما المنكر ما يبدو من تلجلجه إذا سئل، والنكير تقريع الملكين له.اهـ[1]

ووظيفة هذين الملكين أن يأتيان العبد في قبره ويجلسانه ويسألانه من ربك وما دينك ومن نبيك. وهذا ما يسمى بـ[**فتنة القبر**] وهو ثابتة بالكتاب والسنة.

فالفتنة هي: سؤال الملكين العبد في قبره عن ربه ودينه ونبيه.

والدليل على فتنة القبر: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. جاء في الصحيحين[2] عن البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن هذه الآية نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) انظر: "الروح" (ص٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٩) ومسلم (٢٨٧١).

وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقعد وقعدنا حوله، كأن على رءوسنا الطير(١)، وهو يُلحَد له، فقال: «**أعوذ بالله من عذاب القبر**»، ثلاث مرات، ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزلت إليه الملائكة، كأن على وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط(٢) من حنوط الجنة، فجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: يا أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض**»، قال: «**فيصعدون بها، فلا يمرون بها، يعني على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء، فيستفتحون له، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى**». قال: «**فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: ما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه(٣) من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة**»، قال: «**فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره**»، قال: «**ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟**

---

(١) كناية عن السكون وعدم الحركة، لأن الطائر لا يكون إلا على شيء ساكن لا يتحرك.

(٢) هو ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة.

(٣) أي: اجعلوا له فراشا من فرش الجنة.

فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: يا رب، أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي».

قال: «وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب»، قال: «فتتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السَّفُّود(١) من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح(٢)، ويخرج منها كأنتن ريح خبيثة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحا، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]. فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم، فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها(٣)، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي

---

(١) السفود: ضبط بفتح السين، وتشديد الفاء: حديدة يشوى بها اللحم. والحديث كناية عن تمزيق جسم الميت وصعوبة خروج روحه، فكما يبقى في الحديدة عندما يشوى بها اللحم بقية من اللحم محروق، كذلك يحصل عندما تجذب الحديدة من الصوف المبلول.

(٢) لباس خشن. قال النووي: هو ثوب من الشعر غليظ معروف.

(٣) الريح الحارة.

يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت، فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول رب لا تقم الساعة»(١).

والفتنة غير عذاب القبر؛ لأن العذاب إنما يكون لمن يستحقه، بخلاف الفتنة وهي السؤال فهي تكون لجميع الناس إلا من استثناهم الدليل وهم:

١) **الأنبياء**؛ لحديث عائشة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**فأما فتنة القبر: فبي تفتنون، وعني تسألون**»(٢). فالأنبياء يُسأل عنهم؛ فإنه يقال للميت: من نبيك؟ فهم مسئول عنهم، وليسوا بمسؤولين، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إنه أوحي إليَّ أنكم تفتنون في قبوركم**»، والخطاب للأمة المرسل إليهم؛ فلا يكون الرسول داخلًا فيهم.

٢) الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله؛ لحديث رجل من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أن رجلًا قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»(٣)، فشهداء المعركة لا يسألون؛ لظهور صدق إيمانهم بجهادهم وبذل أرواحهم انتصارًا لدين الله، وهذا من أكبر الأدلة على صدق إيمانه.

٣) المرابطون في سبيل الله؛ لحديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات؛ جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان**»(٤).

فهؤلاء الذين دلَّت الأحاديث على استثنائهم، وزاد بعضهم أصنافا وهم:

١- **الصديقون**؛ قياسا على الشهداء، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا كان الشهيد لا يفتن

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (١٨٥٣٤) وأبو داود (٤٧٥٣) والنسائي في الكبرى (٢١٣٩) وابن ماجه (١٥٤٩) والحاكم (١٠٧) وأبو عوانة (٢/ ٤٥٧) من طريق المنهال، عن زاذان، عن البراء بن عازب به. وهذا إسناد حسن.

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٠٨٩) بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه النسائي (٢٠٥٣) بإسناد حسن.

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٩١٣).

فالصديق أجل خطرًا وأعظم أجرًا أن لا يفتن، لأنه مقدم ذكره في التنزيل على الشهداء، وقد صح في المرابط الذي هو دون الشهيد أنه لا يفتن، فكيف بمن هو أعلى رتبة منه ومن الشهيد.اهـ(١)

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الصديقون؛ فلا يسألون؛ لأن مرتبة الصديقين أعلى من مرتبة الشهداء؛ فإذا كان الشهداء لا يسألون؛ فالصديقون من باب أولى، ولأن الصديق على وصفه مصدَّق وصادق؛ فهو قد علم صدقه؛ فلا حاجة إلى اختباره؛ لأن الاختبار لمن يُشَك فيه؛ هل هو صادق أو كاذب، أما إذا كان صادقًا؛ فلا حاجة تدعو لسؤاله، وذهب بعض العلماء إلى أنهم يسألون؛ لعموم الأدلة، والله أعلم.اهـ(٢)

والصحيح أن الصديقين يفتنون في قبورهم؛ لعدم وجود دليل يدل على استثنائهم، ولا يكفي مجرد القياس في مسائل العقيدة والإيمان، بل لا بد من وجود دليل صحيح صريح، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والأحاديث الصحيحة ترد هذا القول، وتبين أن الصديق يسأل في قبره كما يسأل غيره، وهذا عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رأس الصديقين، وقد قال للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لما أخبره عن سؤال الملك في قبره فقال: وأنا على مثل حالتي هذه؟ فقال: «**نعم**» وذكر الحديث.اهـ(٣)

قلت: ولا يلزم من هذه الخاصية التي اختص بها الشهيد أن يشاركه الصديق في حكمها، وإن كان أعلى منه رتبة، فخواص الشهداء قد تنتفي عمن هو أفضل منهم، وإن كان أعلى منهم درجة.

٢- **من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة**؛ لحديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر**». رواه أحمد، والصحيح فيمن مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة أنه يفتن

---

(١) انظر: "الروح" (ص٨١).
(٢) انظر: "شرح الواسطية" (٢/ ١١٠).
(٣) انظر: "الروح" (ص٨١).

في قبره؛ لضعف هذا الحديث كما بينته في رسالتي المسماه: (اللمعة في بيان ضعف حديث فضل من مات يوم الجمعة)، وأنت إذا نظرت إلى من استثناهم الله تعالى من فتنة القبر وجدت أن ذلك يعود إلى أعمال عظيمة قاموا بها تدل على صدق إيمانهم وأنهم محِّصوا بسببها في الدنيا فأغنى ذلك عن سؤالهم واختبارهم في البرزخ، بخلاف من مات يوم الجمعة فإنه لم يقدم شيئًا مما ذكر، فمجرد موته في هذا اليوم لا يقتضي استثناءه من الفتنة -والله أعلم-.

- **مسألة : هل السؤال في القبر عام لجميع الأمم أم هو خاص بهذه الأمة؟**

الجواب: هذه المسألة وهي: سؤال منكر ونكير هل هو مختص بهذه الأمة أو يكون لها ولغيرها؟ فيها ثلاثة أقوال:

١) أن السؤال خاص بهذه الأمة فقط، والأمم السابقة لا تفتن في قبورها.

واستدلوا بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا**»(١)، وبقوله: «**أُوحِيَ إِلَيَّ: أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ**»(٢)، وهذا ظاهر في الاختصاص بهذه الأمة، قالوا: ويدل عليه قول الملكين له: ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول المؤمن: أشهد أنه عبد اللّه ورسوله، فهذا خاص بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. وقوله في الحديث الآخر: «**إنكم بي تمتحنون وعنّي تسألون**».

٢) التوقف فلا يقطع بشيء من ذلك. وهذا اختيار ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣) أن السؤال عام لهذه الأمة ولغيرها من الأمم.

وهذا قول عبد الحق الأشبيلي والقرطبي، وهو الصحيح واختاره الإمام ابن القيم وابن أبي العز والسفاريني وابن عثيمين وغيرهم، واستدلوا بما يلي:

١- حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: دخل علي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وعندي امرأة من اليهود، وهي تقول: هل شعرت أنكم تفتنون في القبور؟ قالت: فارتاع

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٧) عن أبي سعيد.

(٢) أخرجه البخاري (٨٦) ومسلم (٩٠٥) عن أسماء.

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقال: «**إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ**» قالت عائشة: فلبثنا ليالي، ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ شَعَرْتِ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ**» قالت عائشة: فسمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، بعد يستعيذ من عذاب القبر(١). فهذا صريح في أن اليهود تفتن في قبورها وهم من الأمم الماضية. وأيضًا سؤال اليهودية عن الفتنة يدل على أن عندهم علم بذلك، وأنهم هم يفتنون في قبورهم.

٢- حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في حائط لبني النجار، على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: «**مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟**» فقال رجل: أنا، قال: فمتى مات هؤلاء؟ " قال: ماتوا في الإشراك، فقال: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**». رواه مسلم(٢).

قال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: والذي يظهر: أنّ عذاب القبر إنما يكون بعد السّؤال والله الموفق.اهـ وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: وهل تسأل الأمم السابقة؟ ذهب بعض العلماء -وهو الصحيح- إلى أنهم يسألون؛ لأنه إذا كانتا هذه الأمة -وهي أشرف الأمم- تسأل، فمن دونها من باب أولى.اهـ وأما الجواب عما استدل به أصحاب القول الأول فإنه لا يدل هذا على اختصاص السؤال بهذه الأمة دون سائر الأمم، فإن قوله: «إن هذه الأمة» إما أن يراد به أمة الناس كما قال تعالى: ﴿وما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ ولا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ﴾ وكل جنس من أجناس الحيوان يسمى أمة، وفي الحديث: «**لو لا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها**»، وفيه أيضًا حديث النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذي قرصته نملة فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى اللّه إليه من أجل أن قرصتك نملة واحدة أحرقت أمة من الأمم تسبّح اللّه. وإن كان المراد به أمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الذي بعث فيهم لم يكن فيه

---

(١) أخرجه مسلم (٥٨٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٧).

ما ينفي سؤال غيرهم من الأمم. بل قد يكون ذكرهم إخبارا بأنهم مسئولون في قبورهم وأن ذلك لا يختص بمن قبلهم لفضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم. و كذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أوحي إليّ أنّكم تفتنون في قبوركم**».(١)

- **مسألة: هل الفتنة تشمل غير المكلف كالصبي والمجنون؟**

١) **القول الأول**: قول جمهور أهل السنة أن الأطفال والمجانين يفتنون في قبورهم، وذلك أن الله سبحانه يكمل لهم عقولهم ليعرفوا بذلك منزلتهم، ويلهمون الجواب عما يسألون عنه. وذلك لما يلي:

١- مشروعية الصلاة عليهم، والدعاء لهم، وسؤال اللّه أن يقيهم عذاب القبر وفتنة القبر فقد صح عند مالك في موطئه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه صلَّى على جنازة صبي فسمع من دعائه: «**اللهم قه عذاب القبر**».

٢- أنهم يمتحنون يوم القيامة فلا يمنع ذلك أن يمتحنوا في القبور، وهذا ما تقتضيه ظواهر الأخبار.

والدليل على أن الله تعالى يكمل لهم عقولهم ما جاء عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ذكر فتان القبور، فقال عمر: أترد علينا عقولنا يا رسول الله؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**نعم، كهيئتكم اليوم**» فقال عمر: بفيه الحجر. رواه أحمد وهو حديث حسن لغيره.

وهذا اختيار شيخ الإسلام والقرطبي وقيده الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ بالصبي المميز. قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا القول موافق لقول من قال: إنهم يمتحنون في الآخرة وإنهم مكلفون يوم القيامة كما هو قول أكثر أهل العلم وأهل السنة من أهل الحديث والكلام وهو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة واختاره وهو مقتضى نصوص الإمام أحمد والله أعلم.اهـ(٢)

---

(١) انظر: "الروح" (ص ٨٦)، و"البحور الزاخرة" (١/ ١٩٨)، و"شرح الواسطية" لابن عثيمين (٢/ ١١٣).

(٢) انظر: "مجموع الفتاوى" (٤/ ٢٧٧).

وقال أيضًا: وهذا الاختلاف في امتحانهم في البرزخ يشبه الاختلاف في امتحانهم في العرصة، وقول من يقول بامتحانهم أقرب إلى النصوص والقياس من قول من يقول: يعاقبون بلا امتحان.اهـ(١)

٢) **القول الثاني**: قول القاضي وابن عقيل أن الأطفال والمجانين لا يفتنون في قبورهم، فالسؤال إنما يكون لمن عقل الرسول والمرسل فيسأل: هل آمن بالرسول وأطاعه أم لا؟ فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فأما الطفل الذي لا تمييز له بوجه ما فكيف يقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟! ولو رد إليه عقله في القبر فإنه لا يسأل عما لم يتمكن من معرفته والعلم به، ولا فائدة في هذا السؤال، وأما المجنون إذا جن بعد البلوغ فإنه يفتن في قبره على ما علمه وعلى ما كان عليه بعد البلوغ.

واستدلوا بحديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**رفع القلم عن ثلاث**».

وهذا استدلال غير صحيح فإن هذا إنما هو في سقوط التكليف عنهم في حال الحياة، وأما حال الممات فتخالف حال الحياة. فالصحيح هو القول الأول -والله أعلم-.(٢)

(١) انظر: "جامع المسائل" (٣/ ٢٣٩).

(٢) انظر: "الروح" (ص٨٧)، و"التذكرة" (ص٣٧٧)، و"فتح الباري" (١٣٧٤) (٣/ ٢٤٠).

وجوب الإيمان بالحوض والميزان

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٢٢) وَلَا (الْحَوْضَ) وَ(الْمِيزَانَ)، إِنَّكَ تَنصَحُ

الشرح:

❁ من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالحوض والميزان، ولهذا قال: **(وَلا الْحوضَ والمِيزانَ إنَّكَ تُنْصَحُ)** أي: ولا تنكرن جهلاً الحوض والميزان؛ فإن الأدلة الصحيحة قد دلت على ذلك.

أولا: الحوض.

الحوض: هو حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

والأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيًا، فمنها: ما رواه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء**[(١)]»[(٢)].

وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك، قال: أغفى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إغفاة، فرفع رأسه مبتسمًا، إما قال لهم، وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إنه أنزلت علي آنفًا سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم**: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، حتى ختمها، ثم قال لهم: «**هل تدرون ما الكوثر؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم، فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**». ورواه مسلم[(٣)]، ولفظه: «**هو نهر وعدنيه ربي، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة**»، والباقي مثله.

---

(١) أي: في الكثرة والعدد، وفي البريق واللمعان أيضًا ودليل الأول قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها». ودليل الثاني: قوله: «ألا في الليلة المظلمة المصحية». رواه مسلم (٢٣٠٠) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٠) ومسلم (٢٣٠٣).

(٣) أخرجه أحمد (١١٩٩٦) ومسلم (٤٠٠).

وروى البخاري ومسلم عن جندب بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أنا فرطكم على الحوض**»[(١)]. والفرَط: الذي يسبق إلى الماء[(٢)].

وروى البخاري عن سهل بن سعد الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم**». زاد أبو سعيد الخدري: «**إنهم من أمتي فقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فقال: سحقًا سحقًا لمن غير بعدي**». سحقًا: أي بعدًا.

والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضًا من اللبن[(٣)]، وأبرد من الثلج[(٤)]، وأحلى من العسل[(٥)]، وأطيب ريحا من

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٩) ومسلم (٢٢٨٩).

(٢) الفرط والفارط هو الذي يتقدم الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء. فمعنى: «فرطكم على الحوض» أي: سابقكم إليه كالمهيئ له.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٣٠٠) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبرقم (٢٣٠١) عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) كما عند أحمد (٥٩١٣) بسند حسن عن سعيد بن جبير يذكر عن ابن عباس، في الكوثر؟ فقلت: سمعته يقول: قال ابن عباس: هذا الخير الكثير، فقال محارب: سبحان الله، ما أقل ما يسقط لابن عباس قول، سمعت ابن عمر يقول: لما أنزلت إنا أعطيناك الكوثر قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هو نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، يجري على جنادل الدر والياقوت، شرابه أحلى من العسل، وأشد بياضا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأطيب من ريح المسك» قال: صدق ابن عباس هذا والله الخير الكثير. وقوله: «على جنادل الدر» أي: أحجار الدر. الحصاة التي هي تحت الماء هي الدر والياقوت.

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢٣٠٠) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبرقم (٢٣٠١) عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المسك[١]، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر[٢].

- **مسألة : لماذا سمي حوض نبينا بالكوثر ؟مع أن الكوثر نهر في الجنة ؟**

الجواب: سمي حوض نبينا بالكوثر؛ لأن ماءه واستمداه من الكوثر الذي في الجنة، فأُطلق على حوض نبينا بأنه الكوثر كما قال تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾.

- **مسألة : من أول من يرد الحوض ؟**

الجواب: أول من يرد الحوض هم أهل اليمن؛ لحديث ثوبان أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ**». رواه مسلم.

- **مسألة: من الذي يمنع من الشرب من الحوض؟**

روى البخاري عن سهل بن سعد الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم**». زاد أبو سعيد الخدري: «**إنهم من أمتي فقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فقال: سحقًا سحقًا لمن غير بعدي**».

وقد اختُلف في المراد بالذين يذادون عن حوض النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على أقوال:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وفيه: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء».

[**أحدها**]: أن المراد به المنافقون والمرتدون، فيجوز أن يحشروا بالْغُرّة والتحجيل، فيناديهم النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ للسِّيما التي عليهم، فيقال: «ليس هؤلاء مما وُعِدت بهم، إن هؤلاء بَدَّلوا بعدك»، أي: لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: لم يرتد من الصحابة أحد، وإنما ارتد قوم من جفاة الأعراب ممن لا نصرة له في الدين، وذلك لا يوجب قدحًا في الصحابة المشهورين، ويدل قوله: «**أصيحابي**» بالتصغير على قلة عددهم. وقال ابن التين رَحِمَهُ اللَّهُ: يحتمل أن يكونوا منافقين أو من مرتكبي الكبائر، وقيل: هم قوم من جفاة الأعراب دخلوا في الإسلام رغبة ورهبة.اهـ[(١)]

[**والثاني**]: أن المراد بهم أصحاب البِدَع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، وعلى هذا القول لا يُقْطَع لهؤلاء الذين يُذادون بالنار، بل يجوز أن يذادوا عقوبةً لهم، ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى، فيدخلهم الجنة بغير عذاب، قال أصحاب هذا القول: ولا يمتنع أن يكون لهم غُرّة وتحجيل، ويَحْتَمِل أن يكون كانوا في زمن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وبعده، لكن عَرَفَهم بالسيما. وقال الإمام الحافظ أبو عُمَر بن عبد البر: كلُّ مَن أحدث في الدين، فهو من المطرودين عن الحوض، كالخوارج، والروافض، وسائر أصحاب الأهواء.اهـ[(٢)]

[**والثالث**]: أن المراد بهم الظَّلَمة المسرفون في الْجَوْر، وطَمْس الحقّ، والمعلنون بالكبائر، لحديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال لكعب بن عجرة: «**أعاذك الله من إمارة السفهاء**»، قال: وما إمارة السفهاء؟، قال: «**أمراء يكونون بعدي، لا يقتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني، ولست منهم، ولا يردوا علي حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني وأنا منهم، وسيردوا علي حوضي**»[(٣)].

---

(١) انظر: "فتح الباري" (١١/ ٣٨٥).

(٢) انظر: "التمهيد" (٢٠/ ٢٦٢).

(٣) حسن: أخرجه أحمد (١٤٤٤١) بسند حسن، وهو في الصحيح المسند للعلامة الوادعي برقم (٢٤٥).

والصحيح أن كلُّ هؤلاء يُخاف عليهم أن يكونوا ممن عُنُوا بهذا الخبر. **قال القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فمن بدل أو غير أو ابتدع في دين الله ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبتعدين منه المسودي الوجوه، وأشدهم طردًا وإبعادًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون ومبتدعون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وطمس الحق وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع، كل يخاف عليهم أن يكونوا عنوا بالآية والخبر كما بينا.اهـ[(١)]

- **مسألة: هل لكل نبي حوض؟**

للعلماء في هذه المسألة قولان:

القول الأول: أن لكل نبي حوضا؛ لحديث: «**إن لكل نبي حوضًا وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة**».

القول الثاني: أن الحوض خاص بنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لعدم ثبوت ما يدل على وجود أحواض للأنبياء الآخرين.

وهذا الخلاف مبني على الحديث الوارد في ذلك فمن أثبته قال بالقول الأول، ومن ضعف الحديث، قال بالقول الثاني. والصحيح أن الحديث ضعيف[(٢)].

---

(١) انظر: "تفسير القرطبي" (٤/ ١٦٨).

(٢) ضعيف: جاء هذا الحديث عن أربعة من الصحابة: عن سمرة بن جندب، وأبي سعيد الخدري، وابن عباس، وأبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

١): فأما حديث سمرة بن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فله طريقان:

الطريق الأولى: عن الحسن البصري. أخرجه الترمذي (٢٤٤٣) وابن أبي عاصم في "السنة" (٧٣٤) والطبراني (٧/ ٢١٢) وفي "الشاميين" (٢٦٤٧) والأصبهاني في "الحجة في بيان المحجة" (٢٩٣) والبخاري في "التاريخ الكبير" (١/ ٤٤) من طريق سعيد بن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن لكل نبي حوضًا وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة». وهذا إسناد ضعيف فيه ثلاث علل: أولًا: لانقطاعه بين الحسن وسمرة. فالحسن

البصري لم يسمع من سمرة إلا حديثًا واحدًا وهو حديث العقيقة. الثانية: ضعف سعيد بن بشير، لاسيما في روايته عن قتادة، قال ابن نمير: سعيد بن بشير منكر الحديث، ليس بشيء، ليس بقوي الحديث، يروي عن قتادة المنكرات. الثالثة: أن الصحيح فيه الإرسال، فإن الذي وصله سعيد بن بشير وهو ضعيف، وقد خالفه ثلاثة من الرواة الثقات فرووه عن الحسن مرسلًا وهم:

١- أشعث بن عبد الملك. كما ذكر الترمذي.

٢- هشام بن حسان. كما عند ابن المبارك في "الزهد" (٢/ ١٢١) وفي جزء من أحاديث أبي عمر السلمي عن شيوخه برقم (١٠٣٧)، وابن منده في "الفوائد" (٢٤).

٣- حزم بن أبي حزم. كما في "الأهوال" لابن أبي الدنيا برقم (٤).

وهذا هو المحفوظ عن الحسن البصري، والرواية الموصولة منكرة، وقد رجح المرسل الترمذي فقال عقب الحديث: هذا حديث غريب، وقد روى الأشعث بن عبد الملك، هذا الحديث عن الحسن، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرسلًا، ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح. اهـ

الطريق الثانية: عن خبيب بن سليمان بن سمرة. أخرجه الطبراني (٧/ ٢٥٩) فقال: حدثنا موسى بن هارون، ثنا مروان بن جعفر السمري، ثنا محمد بن إبراهيم بن خبيب بن سليمان بن سمرة، ثنا جعفر بن سعد بن سمرة، عن خبيب بن سليمان بن سمرة، عن أبيه، عن سمرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الأنبياء يتباهون أيهم أكثر أصحابًا من أمته، فأرجو أن أكون يومئذ أكثرهم كلهم واردة، فإنه كل رجل منهم يومئذ قائم على حوض ملآن، معه عصا، يدعو من عرف من أمته، ولكل أمة سيماء يعرفهم بها نبيهم». وهذا إسناد شديد الضعف لا يصلح في الشواهد والمتابعات، فيه: محمد بن إبراهيم بن خبيب، وجعفر بن سعد بن سمرة وهما ضعيفان، وخبيب بن سليمان بن سمرة وأبوه مجهولان.

٢) وأما حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فأخرجه ابن أبي شيبة (٣٢٣٣٩) وعنه ابن ماجه (٤٣٠١) وابن أبي عاصم في "السنة" (٧٢٣)، وأبو نعيم في "أخبار أصبهان" (١/ ١٤٥) واللالكائي في "السنة" (٢١١٨) وابن أبي الدنيا في "الأهوال" (٢) من طرق عن زكرياء بن أبي زائدة، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن لي حوضًا، طوله ما بين مكة وبيت المقدس، أبيض مثل اللبن، آنيته عدد النجوم، فكل نبي يدعو أمته، ولكل نبي حوض، فمنهم من يأتيه الفئام من الناس، ومنهم من تأتيه العصبة، ومنهم من يأتيه النفر، ومنهم من يأتيه الرجلان، ومنهم من لا يأتيه أحد، فيقال له: هل بلغت؟ وإني أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة». وهذا إسناد ضعيف لا يصلح في الشواهد والمتابعات؛ لضعف عطية العَوْفي وهو مدلس وقد عنعن، قال ابن حبان في "الضعفاء": سمع من أبي سعيد أحاديث، فلما مات جعل يجالس الكلبي يحضر بصفته، فإذا قال الكلبي: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذا، فيحفظه، وكناه أبا سعيد ويروي عنه، فإذا قيل له: من حدثك بهذا؟ فيقول: حدثني أبو سعيد، فيتوهمون أنه يريد أبا سعيد الخدري، وإنما أراد الكلبي. قال: لا يحل كتب حديثه إلا على التعجب.اهـ قلت: وقد روى هذا الحديث بألفاظ مختلفة فتارة يرويه كما تقدم، وتارة يرويه بلفظ: «إن لي حوضًا، طوله ما بين الكعبة إلى بيت

■ **مسألة: من هم الذين أنكروا الحوض؟**

المنكرون لوجود الحوض هم الخوارج وبعض المعتزلة(١)، وأخلِق بهم أن يحال بينهم وبين وروده يوم العطش الأكبر(١).

المقدس، أبيض من اللبن، آنيته عدد النجوم، وإني لأكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة». وليس فيه موضع الشاهد.

٣) وأما حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فأخرجه ابن أبي الدنيا في "الأهوال" (٣) وابن مردويه كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٢١٧) من طريق العباس بن محمد ثنا الحسين بن محمد المَرُّوْذي ثنا محصن بن عقبة اليمامي عن الزبير بن شبيب عن عثمان بن حاضر عن ابن عباس قال: سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الوقوف بين يدي رب العالمين: هل فيه ماء؟ فقال: «إي والذي نفسي بيده، إنّ فيه الماء. إنّ أولياء الله ليردون حياض الأنبياء ويبعث الله سبعين ألف ملك في أيديهم العصي من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء». وهذا حديث ضعيف لا يصلح في الشواهد والمتابعات، وقد ضعفه ابن كثير بقوله: وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وليس هو في شيء من الكتب الستة. اهـ "النهاية" (١/ ٤١٢). قلت: في إسناده محصن بن عقبة اليمامي والزبير بن شبيب، قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: لم أجد من ترجمهما. الصحيحة (١٥٨٩).

٤): وأما حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فأخرجه القضاعي في "مسنده" (١٠٣٦) من طريق مخلد بن عبد الواحد، عن علي بن زيد بن جدعان، وعطاء بن أبي ميمونة، عن زر بن حبيش، عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن لكل شيء قلبًا، وإن قلب القرآن»... الحديث بطوله إلى أن قال: «ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان». قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا إسناد موضوع؛ المتهم به مخلد هذا؛ قال ابن حبان: "منكر الحديث جداً. ثم ساق له بهذا السند حديثا أشار إليه بقوله: "بذاك الخبر الطويل الباطل في فضل السور، فما أدري من وضعه إن لم يكن مخلد افتراه؟!".اهـ الضعيفة (٥٨٧٠)، فإذا تبين لك أن الراجح في هذه الطريق أنها من مراسيل الحسن، فاعلم أن مراسيل الحسن وصفها جماعة من العلماء كأحمد بن حنبل والذهبي والعراقي والسخاوي بأنها من أضعف المراسيل أي: أنها لا تصلح في الشواهد والمتابعات، واختار هذا من المعاصرين الألباني والوادعي رَحِمَهُمَا اللَّهُ، وعلى القول الآخر بأن مراسيل الحسن تقبل في الشواهد فإنك كما ترى كل الطرق والشواهد الأخرى شديدة الضعف لا تصلح للاستشهاد بها. ومن حسن الحديث من العلماء كالعلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره، فإنما حسنوه ظنا منهم أن طريق الحسن البصري تتقوى بالموصول عن سمرة بن جندب، وهذا= =خطأ واضح؛ لأنه قد تقدم أنها طريق واحدة أخطأ فيها سعيد بن بشير فجعلها موصولة وهي في الحقيقة مرسلة، فهي طريق واحدة مرسلة عن الحسن البصري.

(١) انظر: "الفتح" (١١/ ٤٦٧).

▪ **مسألة: هل حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ موجود الآن؟**

حوضه موجود الآن؛ لحديث عن عقبة بن عامر، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: «**إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن**» متفق عليه(٢). وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي**»(٣).

---

(١) عن عبد الله بن بريدة الأسلمي قال: شك عبيد الله بن زياد في الحوض فأرسل إلى أبي برزة الأسلمي فأتاه فقال له جلساء عبيد الله: إنما أرسل إليك الأمير ليسألك عن الحوض هل سمعت من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه شيئًا؟ قال: نعم. سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكره «فمن كذب به فلا سقاه الله منه». أخرجه أحمد وأبو داود. انظر: "الفتح" (١١/ ٤٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٩٠) ومسلم (٢٢٩٦).

(٣) أخرجه البخاري (١١٩٦) ومسلم (١٣٩١)، قال القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال أكثر العلماء: المراد منبره بعينه الذي كان في الدنيا، وهذا هو الأظهر.

ثانيًا: الميزان.

قوله: (**والميزانَ إنَّكَ تُنْصَحُ**) أهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الله تعالى ينصب يوم القيامة ميزانا حقيقيا له كفتان ولسان[(١)] توزن به أعمال العباد.

والأدلة على ذلك كثيرة ومنها: قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣].

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ عليه تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فيقول: لا، يا رب، ثُمَّ يَقُولُ: أَلَكَ عذر، أَلِكَ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَابُ**

---

(١) إحداهما للحسنات، والأخرى للسيئات، وسَعَة الكفتين عظيمة جدًا؛ لحديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ نَبِيَّ الله نُوحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا الله، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا الله**» أخرجه أحمد (٦٥٨٣) والبخاري في "الأدب المفرد" (٥٤٨) عن سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن الصقعب ابن زهير، عن زيد بن أسلم، قال حماد، أظنه عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمرو به. وهذا إسناد صحيح، الصقعب بن زهير روى عنه جمع، ووثقه أبو زرعة، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال أبو حاتم: شيخ ليس بالمشهور، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين، وقد صححه العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند" برقم (٨٠١). وصح عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وضع فيه السماوات والأرض لوسعت. أخرجه ابن المبارك في "الزهد" (١٣٥٧) والآجري في "الشريعة" (٨٩٥) بإسناد صحيح، وروي مرفوعًا ولا يصح، وللميزان لسان (أي: شوكة تبيّن رجحان إحدى الكفتين) جاء ذلك عن ابن عباس والحسن ولم يصح عنهما، ولكن أجمع العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ على ذلك.

الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لا. فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ. فَيَقُولُ: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ. فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ».

هذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة خلافًا للمعتزلة الذي أنكروا حقيقة الميزان وقالوا: المراد به شيء معنوي ليس شيئًا محسوسًا حقيقيًا، بل هو أمر معنوي وهو: العدل. وهذا القول باطل مخالف للنصوص وإجماع السلف، ولأننا إذا قلنا: إن المراد بالميزان: العدل؛ فلا حاجة إلى أن نعبر بالميزان؛ بل نعبر بالعدل؛ لأنه أحب إلى النفس من كلمة (ميزان)، ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]. قاله ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.[١]

- **مسألة: هل هو ميزان واحد أو موازين متعددة؟**

اختلف العلماء هل هو ميزان واحد أو متعدد؟

١) أنها موازين متعددة بحسب الأمم أو الأفراد أو الأعمال؛ لأنه لم يرد في القرآن إلا مجموعًا، وأما إفراده في بعض الأحاديث كحديث: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»[٢]. فباعتبار الجنس.

٢) أنه ميزان واحد لجميع الأمم، ولجميع الأعمال؛ لأنه ورد في الأحاديث مفردًا، وأما جمعه في القرآن فباعتبار الموزونات وهي الأعمال والأشخاص والصحائف، **قال ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا كان الميزان واحدًا، فما المعنى بذكر الموازين؟

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (٤/ ٣٠٢)، "لوامع الأنوار" (٢/ ١٨٥)، و"شرح الواسطية" (٢/ ١٣٩).
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٦) ومسلم (٢٦٩٤).

فالجواب: أنه لما كانت أعمال الخلائق توزن وزنة بعد وزنة، سميت موازين.اهـ(١)

وهذا هو الصحيح، وهو اختيار السفاريني وابن عثيمين في الواسطية، وقال في لمعة الاعتقاد: وكلا الأمرين محتمل والله أعلم. اهـ(٢)

- **مسألة: ما الذي يوزن في الميزان؟**

دلت الأدلة على أن الذي يوزن ثلاثة أشياء:

١): وزن الأعمال. ٢): وزن العامل. ٣): وزن صحائف الأعمال.

وهذا اختيار ابن كثير وحافظ الحكمي وهو الصحيح؛ جمعا بين الأدلة التي جاءت بوزن الجميع. وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولكن عند التأمل نجد أن أكثر النصوص تدل على أن الذي يوزن هو العمل، ويخص بعض الناس، فتوزن صحائف أعماله، أو يوزن هو نفسه. وأما ما ورد في حديث ابن مسعود وحديث صاحب البطاقة؛ فقد يكون هذا أمرًا يخص الله به من يشاء من عباده.اهـ(٣)

فالدليل على وزن الأعمال ظاهر الآيات كقوله: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣]. وجاء في صحيح مسلم، عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان**» الحديث(٤). وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**كلمتان**

---

(١) انظر: "زاد المسير" (٣/ ١٩٢).

(٢) انظر: "لوامع الأنوار" (٢/ ١٨٦)، و"شرح الواسطية" لابن عثيمين (٢/ ١٣٩)، و"شرح لمعة الاعتقاد" (ص٥٥).

(٣) انظر: "تفسير بن كثير" (٣/ ٣٥١)، "شرح الواسطية" لابن عثيمين (٢/ ١٤٣)، و"معارج القبول" (٢/ ٨٤٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٣) من طريق أبي سلام ممطور الحبشي عن أبي مالك الأشعري. وقد أعله الحفاظ كالدارقطني وأبي الفضل بن الشهيد وغيرهما بالانقطاع بين أبي سلام وأبي مالك الأشعري، ولكن هذه العلة لا تقدح في صحة الحديث فقد وُصِل بإسناد صحيح آخر عند أبي عوانة في مستخرجه (٦٠١) عن

خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[(١)].

وهذا هو الأصل في الوزن.

والدليل على وزن العامل: ما روى البخاري عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة**»، وقال: «**اقرءوا إن شئتم**: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»[(٢)]. وروى الإمام أحمد، عن ابن مسعود: أنه كان يجني سواكا من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مم تضحكون؟**» قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه، فقال: «**والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد**»[(٣)].

والدليل على وزن الصحائف: حديث البطاقة المتقدم.

- **مسألة: أيهما قبل: الميزان أو الحوض أو الصراط؟**

الصحيح أن الحوض قبل الميزان والصراط، ثم الميزان، ثم الصراط، وقد جمع بعضهم ترتيب هذه المواقف في قولك: (حمص)، فالحاء الحوض، والميم الميزان، والصاد الصراط.

أبي سلام عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك الأشعري. انظر: علل الأحاديث في صحيح مسلم لابن الشهيد (ص ٤٥)، والتتبع (ص١٩٨).

(١) أخرجه البخاري (٧٥٦٣) ومسلم (٢٦٩٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢٩) ومسلم (٢٧٨٥).

(٣) حسن: أخرجه أحمد (٣٩٩١) وأبو يعلى (٥٣١٠) والطبراني (٩/ ٧٨) وغيرهم من طرق عن حماد، عن عاصم، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود به. وهذا إسناد حسن، وقد حسنه العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند" برقم (٨٣٧).

■ **إشكال: كيف توزن الأعمال، والأعمال ليست محسوسة؟**

الأعمال وإن كانت أعراضا[١] لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام!! فإن الله سبحانه يقلب هذه الأعمال أجساما، كما يقلب الأعراض أجساما، ويدل لذلك ما في الصحيحين، عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: « **يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ**». الحديث[٢]، فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من غير زيادة ولا نقصان.

■ **مسألة: هل توزن أعمال الكفار؟**

الصحيح أن الكافر يوزن يوم القيامة، وإن لم يكن لهم وزن ولا مقدار؛ لحديث: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة**»، وقال: «اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾، فيوزنون لا وزن من له حسنات وسيئات؛ فإنهم لا حسنة لهم يوم القيامة، وإنما يوزنون لحكم عظيمة، ومنها:

١- **إظهار عدل الله تعالى.**

٢- **بيان دركاتهم في النار.**

٣- **فضحهم على رءوس الأشهاد.**

وهذا اختيار شيخ الإسلام وابن كثير رَحِمَهُمَا اللَّهُ[٣]

قال ابن أبي العز: ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا

---

(١) أي: معاني وصفات لا تقوم بنفسها.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩) عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: النهاية في الفتن والملاحم (٢/ ٣٦).

البقال والفوَّال!! وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنًا. ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فلا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين. فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه. فتأمل قول الملائكة، لما قال الله لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقد تقدم عند ذكر الحوض كلام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أن الحوض قبل الميزان، والصراط بعد الميزان. ففي "الصحيحين": «**أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة**»(١).

وجعل القرطبي في "التذكرة"(٢) هذه القنطرة صراطًا ثانيًا للمؤمنين خاصة، وليس يسقط منه أحد في النار، والله تعالى أعلم(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٥) عن أبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولم يخرجه مسلم، فعزو الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ للحديث لمسلم وهم.

(٢) انظر: التذكرة (ص٧٦٧).

(٣) فالقنطرة جسر بعد الصراط مما يلي الجنة، وليس من الصراط كما ذكر القرطبي وابن كثير رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ؛ لثلاثة أمور:

١) أنه ليس فيها أوصاف الصراط من كونه أدق من الشعرة وأحد من السيف، ومدحضة مزلة.

٢) أنه لا يسقط من القنطرة أحد.

٣) أنه لا يقف فيها إلا المؤمنون فقط. انظر: النهاية (٢/ ١٢١)، والفتح (٦٥٣٥).

وجوب الإيمان بالشفاعة

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٢٣) وَقُـلْ: يُخْـرِجُ اللهُ الْعَظِـيمُ بِفَضْـلِهِ ... مِنَ (النَّـارِ) أَجْسَـادًا مِـنَ الْفَحْـمِ تُطْرَحُ

٢٤) عَلَى النَّهْرِ فِي (الْفِرْدَوْسِ) تَحْيَا بِمَائِهِ ... كَحَـبِّ حَمِيـلِ السَّـيْلِ إِذْ جَـاءَ يَطْفَـحُ

٢٥) وَإِنَّ رَسُـــولَ اللهِ لِلْخَلْـــقِ شَـــافِعٌ ... .

الشرح:

هذه ثلاثة أبيات ذكر فيها الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسألة من مسائل العقيدة وهي مسألة الشفاعة.

والشفاعة لغة: مأخوذة من الشفع وهو الزوج، ضد الوتر، قال الله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر:٣]، وذلك أن الطالب وتر، فإذا كان معه آخر صار شفعًا.

وشرعًا: هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة.

فمثال الأول: شفاعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، فهذا التوسط في جلب خير، ومثال الثاني: شفاعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمن دخل النار أن يخرج منها، وهذا في دفع ضرر.

- **مسألة: ما هي أنواع الشفاعة؟**

الشفاعة نوعان:

١) **الشفاعة الدنيوية:** وهي التي تكون عند الخلق في أمور الدنيا وهي قسمان:

القسم الأول: شفاعة دنيوية جائزة: وهي التي من باب التعاون على البر والتقوى، وليس فيها إضرار بأحد، قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء:٨٥].

القسم الثاني: شفاعة دنيوية محرمة: وهي ما افتقدت أحد الشرطين السابقين، كأن يشفع لأحد في عمل محرم، أو يشفع له في أمر مشروع ولكن يقدمه على من هو أفضل منه وأولى، قال تعالى: ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا} [النساء:٨٥][(١)].

٢) **الشفاعة الأخروية**: وهي التي يراد بها أمور الآخرة، وهي قسمان:

القسم الأول: جائزة (مثبتة): وهي التي تطلب من الله قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} [الزمر: ٤٤] فلا تطلب إلا من مالكها.

القسم الثاني: شركية (منفية): وهي التي تطلب من غير الله.

ويشترط لتحقق الشفاعة المثبتة شرطان:

١) أن يأذن الله للشافع أن يشفع كما قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى} وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ}.

٢) أن يرضى الله تعالى عن الشافع والمشفوع له كما قال تعالى: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى} وقال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى}، والله تعالى لا يرضى من العمل إلا ما كان خالصا له؛ موافقا لشرعه.

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (٢٨/ ٣٠٠).

أنواع الشفاعات المثبتة

الشفاعات المثبتة سبعة أنواع على الصحيح[١] أربع منها خاصة به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وثلاث عامة له ولغيره من الأنبياء والصالحين.

أولًا: الشفاعات الخاصة به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

١) الشفاعة العظمى لأهل الموقف وهي المقام المحمود.

وهي أن الناس يوم القيامة يقفون في موقف عظيم، فيلحقهم من الغم والكرب ما لا يطيقون، فيقولون: ألا أحد يشفع لنا عند الله ويريحنا من هذا الموقف، فيذهبون إلى آدم لأنه أبو البشر ويعتذر، ثم إلى نوح ويعتذر، ثم إلى إبراهيم ويعتذر، ثم إلى موسى ويعتذر، ثم إلى عيسى ولا يعتذر لكن يعلم أن للشفاعة من هو أولى بها منه، فيحيلهم إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيأتون إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيذهب إلى الله عز وجل، ويستأذن أن يشفع فيؤذن له، فيسجد تحت العرش، ويفتح الله عليه من المحامد ما لم يكن يعرفه، فيشفع إلى الله في أن يقضي بين الناس ليريحهم من هذا الموقف، فيقبل الله شفاعته، ويأتي جل وعلا للقضاء بين أهل الموقف، كما جاء في حديث الشفاعة الطويل[٢].

---

(١) وهناك شفاعة ثامنة ذكرها الإمام ابن كثير وغيره وهي: شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم وهم أهل الأعراف، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، جاء في ذلك أحاديث ولكنها ضعيفة كما في كتاب "الشفاعة" للعلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ، والصحيح أن أهل الأعراف مآلهم إلى الجنة كما هو ظاهر الآيات التي في سورة الأعراف، وأيضا كما أن الله تعالى يخرج من النار قوما لم يعملوا خيرا قط، فهؤلاء من باب أولى أن تنالهم رحمة الله فلا يدخلون النار أصلا، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**»، ودليل ثالث: أنه جاء في الحديث أنه يفضل في الجنة فضلا فينشئ الله لها خلقا، فهؤلاء أيضا من باب أولى.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٠) (٤٤٧٦) ومسلم (١٩٣) (١٩٤) عن أنس وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فهذه هي الشفاعة العظمى العامة لكل الخلق، وهي داخلة في قوله تعالى: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩]؛ لأن هذا المقام يحمده فيه كل الناس، حيث إن الأنبياء قبله اعتذروا فصار الحمد له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا المقام العظيم(١).

٢) **الشفاعة في دخول أهل الجنة الجنة.**

وذلك أن أهل الجنة إذا عبروا الصراط وجدوا أبواب الجنة مغلقة، لحكمة يريدها الله عز وجل، من هذه الحكمة أنهم يقفون هناك فيقتص لبعضهم من بعض قصاصا يراد به زوال أثر ما كان في قلوبهم مما كان بينهم، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، بعد أن يشفع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أن يفتح باب الجنة فيدخلوها، كما دل عليه حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**»(٢).

وأشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر:٧٣] فقوله: ﴿وَفُتِحَتْ﴾ بالواو يدل على أن هناك شيء

---

(١) هذا هو الصحيح في تفسير المقام المحمود، وهو التفسير الذي جاء عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عدة أحاديث، وهو تفسير الصحابة وعليه جمهور أهل السنة، وأما ما جاء عن ابن مسعود مرفوعا وعن ابن عباس موقوفا وعن مجاهد مقطوعا في تفسير المقام المحمود بأن الله يجلس نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه على العرش، فهذا تفسير منكر مخالف للأدلة ولتفسير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولم يثبت ذلك عنهم، فأما المرفوع عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ففي إسناده: سلمة الأحمر وهو متروك، وأما الموقوف عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ففي إسناده: جويبر وهو متروك، وأما أثر مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ ففي إسناده: ليث بن أبي سليم وهو ضعيف، بل قد ثبت عن مجاهد أنه فسَّر الآية بالشفاعة العظمى، وقد عدَّ الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ تفسيره الأول (الضعيف) من أعظم ما أنكر عليه في التفسير كما في "الميزان"، وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: ولمجاهد قولان في التفسير مهجوران هذا أحدهما، والآخر في قول الله عز وجل ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣] قال: تنظر الثواب. "التمهيد" (٧/ ١٥٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٩٧).

محذوف، والتقدير والله أعلم أي: وحصل ما حصل من الشفاعة، وفتحت الأبواب، أما النار؛ فقال الله فيها: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر:٧١] بدون ذكر الواو، لأن أبواب النار مفتحة[(١)].

٣) الشفاعة في دخول أناس من أمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجنة بغير حساب.

لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ**»[(٢)]. وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وفيه: «**وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ**»، فقام عكاشة بن محصن، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**أَنْتَ مِنْهُمْ؟**» ثم قام رجل آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**»[(٣)].

٤) الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب.

وذلك أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفع إلى الله أن يخفف عنه فأذن الله له في ذلك، وخفف عن أبي طالب فكان في ضحضاح من نار وعليه نعلان يغلي منهما دماغه، وهو أهون أهل النار عذابا.

---

(١) انظر: "القول المفيد" (١/ ٣٣٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٧١٢) ومسلم برقم (١٩٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٥٤١) ومسلم برقم (٢٢٠).

ودليلها حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»(١).

ولا تعارض بين هذه الشفاعة في عمه الذي مات على الكفر وبين قول الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} [المدثر:٤٨]، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً} [طه:١٠٩]، لأن هذه الشفاعة حالة خاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا أحد يشفع في كافر أبدا إلا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عمه فقط دون غيره، وأيضا مع ذلك هي شفاعة في تخفيف العذاب فقط، لا في الإخراج من النار(٢).

ثانيًا: (الشفاعات العامة له ولغيره من الأنبياء والصالحين):

١) الشفاعة فيمن دخل النار من الموحدين أن يخرج منها.

وهذه الشفاعة في العصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم، كما في الحديث: «**حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٨٨٣) ومسلم برقم (٢٠٩).

(٢) **قال العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: وكانت هذه الشفاعة خاصة بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يشفع لعمه أبي طالب؛ لأنه لا يمكن الشفاعة لمشرك، حيث، من شرط الشفاعة أن يرضى الله عن المشفوع له؛ إلا في هذه المسألة فقط، وهي ليست شفاعة كاملة أيضا، فلم تكن شفاعة في أن يخرج أبو طالب من النار بل كانت شفاعة في أن يخفف عنه، ولا شك أن الخروج هذه عن سائر الشفاعات حكمة، وكانت الحكمة من تلك الشفاعة شكرا له على ما قدم من حماية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذب عنه، فهو مصدق للرسول، لكن فاته شيء واحد وهو القبول والإذعان، وإلا فهو مصدق يعلن على الملأ أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صادق لكنه -نسأل الله العافية- لم يقبل ولم يذعن.اهـ
انظر: "التذكرة" للقرطبي ص٦٠٨، و"شرح العقيدة السفارينية" (١/ ٤٨٨)، و"القول المفيد".

عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ»[(١)].

والأحاديث بها متواترة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة، وبدعوا من أنكرها، وصاحوا به من كل جانب ونادوا عليه بالضلال، وهم المعتزلة والخوارج الذين يرون أن فاعل الكبيرة مخلد في النار، ومن استحق الخلود، فلا تنفع فيه الشفاعة[(٢)].

٢) الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها.

وهذه الشفاعة جاءت فيها أحاديث صريحة، ولكنها ضعيفة، حتى قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه، وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر إنما تكون بعد دخولهم النار، وأما أن يشفع فيهم قبل الدخول فلا يدخلون فلم أظفر فيه بنص.اهـ[(٣)]

قلت: ليس هناك أدلة صريحة ولكن هناك أدلة عامة تدل على ثبوت هذه الشفاعة ومن ذلك ما قاله العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٣) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وأما حديث: «**ليستْ شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي**» المذكور في كتاب "العقد الثمين" الذي يلقن به أبناء الشيعة العقيدة المعتزلية، فهو حديث موضوع باطل دست الشيعة هذه الزيادة: (ليست)، والحديث ثابت بدون هذه الزيادة.

(٣) انظر: "حاشية ابن القيم على سنن أبي داود" (١٣/ ٧٧).

"وهذه قد يستدل لها بقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ»[(١)] فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار، فيشفعهم الله في ذلك" اهـ[(٢)]

وحديث: «ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ»[(٣)]، فتحل الشفاعة قبل الورود على جهنم.

وحديث: «صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ - أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ -، فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ - أَوْ قَالَ بِيَدِهِ -، كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَى - أَوْ قَالَ فَلَا يَنْتَهِي - حَتَّى يُدْخِلَهُ اللهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ»[(٤)]، وهكذا الشهيد يشفع لأهل بيته[(٥)].

٣) الشفاعة في رفع درجات بعض أهل الجنة.

وهذه تؤخذ من دعاء المؤمنين بعضهم لبعض كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أن مات: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ»[(٦)] والدعاء شفاعة، ودعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي عامر الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أن استشهد فقال:

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٤٨) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر: "القول المفيد" (١/ ٣٣٣- ٣٣٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٨٣) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٦٣٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) وما قيل من أن الشفاعة في قوم استحقوا النار ألا يدخلوها ليس عليها دليل، فيه نظر فقد نص عليها جماعة من أهل العلم، بل عد شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ إنكارها من أقوال الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: "وإنما يخالف هذا الوعيدية من الخوارج والمعتزلة ونحوهم الذين يقولون: من استحق المدح لم يستحق الثواب، حتى يقولون: إن من دخل النار لا يخرج منها بل يخلد فيها، وينكرون شفاعة محمد في أهل الكبائر قبل الدخول وبعده وينكرون خروج أحد من النار وقد تواترت السنن عن النبي بخروج من يخرج من النار حتى يقول الله: «أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»، وبشفاعة النبي لأهل الكبائر من أمته" اهـ "الفتاوى الكبرى" (٦/ ٦٦٢).

(٦) أخرجه مسلم برقم (٩٢٠) عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ» ثم قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ»[(١)]، وجاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ»[(٢)] وفي رواية البزار والبيهقي والبغوي: «بِدُعَاءِ وَلَدِكَ لَكَ»[(٣)].

❁ وحاصل ما ذكره الناظم في الشفاعة في هذه الأبيات أن أهل الكبائر من عصاة الموحدين الذين أدخلوا النار بسبب كبائرهم وذنوبهم، يخرجون منها وإلى هذا أشار بقوله: (وَقُلْ يُخْرِجُ اللهُ العَظِيمُ بِفَضلِه) أي: يخرجون من النار بفضل من الله، وحتى وإن إذن الله تعالى للشافع أن يشفع فهو فضل من الله وتشريف له.

❁ ثم ذكر هيئتهم فقال: (مِن النارِ أَجْسادًا مِن الفَحْمِ) لأن النار أهلكتهم وأماتتهم وأحرقتهم حتى صاروا فحمًا، والفحم هو الجمر الطافي وهو أسود اللون.

❁ وقوله: (تُطْرَحُ .. عَلَى النَّهرِ) أي: يلقون على النهر.

❁ وقوله: (فِي الفِردوسِ) وهو اسم من أسماء الجنة، ويطلق أيضًا على أعلى الجنة، وفي الحديث، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة ووسط الجنة وفوقه عرش الرحمن».

❁ وقوله: (تَحْيا بِمَائِهِ): أي: تحيا هذه الأجساد المتفحة بماء هذا النهر، وهو نهر يسمى بنهر الحياة.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٣٢٣) ومسلم (٢٤٩٨) عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) حسن: أخرجه أحمد (١٠٦١٠) وغيره من طريق حماد بن سلمة، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. وهذا إسناد حسن، وهو في الصحيح المسند للعلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (١٣٨٩).

(٣) وهذا يدل على أن هذه الشفاعة عامة، وليست خاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلافا لما ذكره العلامة الفوزان.

❁ وقوله: (كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ) (الحَبِّ) بالكسر هو بزر البقول والعشب، تنبت في البراري وجوانب السيول. و(حَمِيلِ السَّيْلِ) أي: الذي يحمله السيل؛ لأن السيل إذا جاء حمل معه البذور ثم يلقيها على جنبتيه ثم تحيى هذه البذور وتنبت بماء السيل، وهكذا يكون حال هؤلاء المخرجين من النار.

❁ **وقوله:** (إِذْ جَاءَ) أي: إذ جاء ذلك السيل يعني وقت مجيئه (يَطْفَحُ) أي: فيض، يقال طفح الإناء أي: امتلأ وارتفع الماء فيه.

والناظم أخذ هذا من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون. ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم فأماتتهم إماتةً حتى إذا كانوا فحمًا أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم. فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل**» فقال رجل من القوم كأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد كان في البادية. رواه مسلم.

وفي هذا الرد على الخوارج والمعتزلة الذين يقولون إن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، وأما أهل السنة فعقيدتهم فيهم: أنهم تحت المشيئة إن شاء الله عذبهم وإن شاء غفر لهم وإن أدخلهم النار فلا يخلدون فيها بل يخرجون بشفاعة الشافعين وبرحمة أرحم الراحمين.

وأما المشركين الكفار فهم مخلدون في النار أبد الآبدين، لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها، ولا يخرجون منها أبداً كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ. وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ

نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر:٣٦-٣٧].

❁ **وقوله:** (فإنَّ رَسُولَ اللهِ) وهو نبينا محمد، (للخَلقِ شَافعٌ) أي: يشفع للخلائق وهذا يشمل الشفاعة العظمى التي تكون في عرصات يوم القيامة والتي يغبطه عليها الأولون والآخرون، وهي تكون لجميع الخلائق بأن يبدأ الله تعالى في حسابهم، ويشمل أيضا قوله: (للخَلقِ شَافعٌ) جميع أنواع الشفاعات الأخرى وقد تقدم الكلام عليها.

▪ **مسألة: ما حكم من أنكر الشفاعة؟**

من كذب بالشفاعة فهو كافر، وقد صح عن أنس أنه قال: «**مَنْ كَذَّبَ بِالشَّفَاعَةِ فَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ**» رواه الآجري في الشريعة[(١)].

(١) صحيح: أخرجه الآجري في «الشريعة» (٧٧٧) فقال: أنبأنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري قال: حدثنا هناد بن السري قال: حدثنا أبو معاوية عن عاصم عن أنس بن مالك. وهذا إسناد صحيح.

وجوب الإيمان بعذاب القبر

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٢٢) ..... وَقُلْ فِي عَذَابِ (الْقَبْرِ) حَقٌّ مُوَضَّحُ

الشرح:

❁ ذكر الناظم رحمه الله أنه يجب الإيمان بعذاب القبر، فقال: (**وَقُلْ فِي عَذَابِ القَبرِ حقٌّ مُوَضَّحُ**) أي: آمن وصدق بعذاب القبر؛ لأنه (**مُوَضَّحُ**) أي: موضح في الكتاب والسنة، ولذا يجب على كل مسلم أن يقول إن عذاب القبر حق، لمن يستحقه.

والأدلة على ثبوت عذاب القبر لمن يستحقه كثيرة منها:

١- قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥ - ٤٦] وهذه الآية من أصح الأدلة على عذاب القبر، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند هذه الآية: فذكر عذاب الدارين ذكرا صريحا لا يحتمل غيره. اهـ(١)

٢- وقال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ * يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ * وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور: ٤٥ - ٤٧]. وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا، وأن يراد به عذابهم في البرزخ، وهو أظهر، لأن كثيرًا منهم مات ولم يعذب في الدنيا، أو المراد أعم من ذلك.

---

(١) انظر: "الروح" (ص٧٥).

والصحيح كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد يقال وهو أظهر: أن من مات منهم عذب في البرزخ، ومن بقى منهم عذب في الدنيا بالقتل وغيره، فهو وعيد بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ".اهـ(١)

٣- قوله تعالى: ﴿وَلَو ترى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَات الْمَوْت وَالْمَلَائِكَة باسطو أَيْديهم أخرجُوا أَنفسكُم الْيَوْم تُجْزونَ عَذَاب الْهون بِمَا كُنْتُم تَقولُونَ على الله غير الْحق وكنتم عَن اياته تستكبرون}، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهذا خطاب لهم عند الموت قطعًا، وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون، ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم: ﴿اليوم تجزون}".اهـ(٢)

٤- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}، فإن الملائكة تعذبهم وتضربهم عند قبض أرواحهم وهذا من عذاب البرزخ لأنهم قد فارقوا الحياة.

٥- وقوله: تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وفي الاحتجاج بها شيء؛ لأن هذا عذاب في الدنيا يستدعى به رجوعهم عن الكفر، ولم يكن هذا ما يخفي على حبر الأمة وترجمان القرآن، لكن من فقهه في القرآن ودقة فهمه فيه فهم منها عذاب القبر، فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين: أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، فدلَّ على أنه بقى لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال: ﴿مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى} ولم يقل: ولنذيقنهم العذاب الأدنى فتأمله".اهـ(٣)

٦- وقوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ}، فأخبر أنهم عذبوا مرتين قبل عذاب القيامة: مرة في الدنيا، ومرة في البرزخ.

---

(١) انظر: "الروح" (ص٧٥).
(٢) انظر: "الروح" (ص٧٥).
(٣) انظر: "الروح" (ص٧٦).

٧- وقوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾، وقد جاء تفسير المعيشة (الضنكا) بعذاب القبر.

٨- وقوله: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾، فأخبر أن دخولهم النار كان عقب موتهم، ولهذا أتى بحرف العطف الفاء الذي يفيد التعقيب فقال: ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾.

٩- وقوله: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِى فِى عِبَادِى * وَادْخُلِى جَنَّتِى﴾، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد قال غير واحد من الصحابة والتابعين أن هذا يقال لها عند خروجها من الدنيا يبشرها الملك بذلك، ولا ينافي ذلك قول من قال: إن هذا يقال لها في الآخرة، فإنه يقال لها عند الموت وعند البعث.اهـ(١)

١٠- وقوله: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾. إلى آخر الآيات وهي واضحة في عذاب البرزخ ونعيمه.

فهذه عشرة آيات تدل على عذاب القبر أو نعيمه، وفيه ردٌ على من زعم أنه لم يذكر في القرآن الكريم وإنما ذكر في السنة، ولو فرضنا عدم ذكر ذلك في القرآن فإن السنة وحيٌ يجب الإيمان بها، فكيف وقد دل القرآن على ذلك وتواترت الأحاديث في بيان ذلك، ومن ذلك:

١- حديث سمرة بن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي رواه البخاري(٢) في الرؤيا التي رآها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وأنه كان مع جبريل وميكائيل عندما مروا على أصحاب الكبائر وهم يعذبون.

---

(١) انظر: "الروح" (ص٩٣).

(٢) برقم (٧٠٤٧).

٢- وحديث زيد بن ثابت وأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي قال: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**». رواه مسلم(١)

٣- وفي الصحيحين(٢) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: « **إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ، حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ».

٤- وفي الصحيحين(٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مر بقبرين، فقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**».

٥- وحديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقعد وقعدنا حوله، كأن على رءوسنا الطير، وهو يُلحَد له، فقال: «**أعوذ بالله من عذاب القبر**»، ثلاث مرات، ثم قال: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا**، الحديث بطوله.

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلًا.

وقد أنكر العقلانيون والمعتزلة عذاب القبر وحرفوا هذه الأدلة بأنها في عذاب الآخرة، وحجة الملاحدة والزنادقة المنكرين لعذاب القبر استبعاد ذلك عقلًا فإن سعة القبر وضيقه، وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، وكون الميت يجلس ويقعد فيه مما تستبعده العقول وتأباه؟!

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٩) ومسلم (٢٨٦٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٨) ومسلم (٢٩٢).

والجواب أن يقال: إن أمور الآخرة وأحوال البرزخ تختلف تمامًا عن أمور الدنيا، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويجب أن يعلم أن النار التي في القبر والنعيم ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها، وإن كان الله تعالى يحمي عليه التراب والحجارة التي فوقه وتحته حتى يكون أعظم حرًا من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسُّوا بها.

بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفن أحدهما إلى جنب صاحبه، وهذا في حفرة من النار، وهذا في روضة من رياض الجنة، لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه. وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تُحِط به علمًا. وقد أرانا الله في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير.

وإذا شاء الله أن يُطلِع على ذلك بعض عباده أطلعه وغيَّبه عن غيره، ولو أطلع الله على ذلك العباد كلهم لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس، كما في الصحيح عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع**»[(١)]. ولما كانت هذه الحكمة منتفية في حق البهائم سمعت ذلك وأدركته.اهـ[(٢)]

ومن شبهات أهل البدع في إنكار عذاب القبر قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا}، والرد عليهم من وجهين:

١) أنهم سموه مرقدا بالنسبة لما هم قادمون عليه من العذاب الشديد يوم القيامة، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿مِن مَّرْقَدِنَا} يعنون قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها، فلما عاينوا ما كذبوا به في محشرهم ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا} وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم، لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٦٧) عن زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وبرقم (٢٨٦٨) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: "الروح" (ص٦٦).

كالرقاد.اهـ(١)

ويدل لذلك قول الكافر عندما يعاين عذابه الذي الآخرة: «**فيقول رب لا تقم الساعة**».

٢) وذكر العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ جوابا آخر وهو أن المرقد اسم لمحل رقاد الإنسان، ولا يلزم من ذلك أن ينام، كما تقول مثلًا: هذا مرقدي وتضطجع فيه ولا تنام.اهـ(٢)

❁ **فائدة:** قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق، **متغايرة الأحكام**:

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنينًا.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه، فإنها لم تفارقه فراقًا كليا بحيث لا يبقى لها إليه التفات ألبتة، فإنه ورد أنه يسمع خَفْق نعالهم حين يولون عنه(٣). وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتًا ولا نومًا ولا فسادًا، فالنوم أخو الموت. فتأمل هذا يُزيحُ عنك إشكالات كثيرة.(٤)

---

(١) انظر: "تفسير ابن كثير" (٦/ ٥١٧).

(٢) انظر: "اللقاء الشهري" (١١/ ٣٧).

(٣) كما جاء في حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن العبد، إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم**». أخرجه مسلم. وهذا من الواضع التي ورد بها الدليل على سماع الموتى وهو كما ترى في وقت مخصوص.

(٤) انظر: "شرح العقيدة الطحاوية" (ص٤٢٨).

فالحاصل: أن الدور ثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ(١)، ودار القرار. وقد جعل الله لكل دار أحكامًا تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم -صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعًا.

واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رمادًا ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر - وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور(٢).

- **مسألة: هل يدوم عذاب القبر أو ينقطع؟**

عذاب القبر نوعان:

١ - منه ما هو دائم، كحال الكفار قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. وكذلك في حديث البراء بن عازب في قصة الكافر: «**ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة**»(٣).

٢ - أنه مدة ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه.(٤)

---

(١) البرزخ في الأصل أنه الفاصل بين الشيئين كقوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾، فسميت دار البرزخ بذلك؛ لأنها فاصلة بين الدار الدنيا والدار الآخرة.

(٢) انظر: "الروح" (ص٥٨).

(٣) حسن: تقدم تخريجه (ص).

(٤) انظر: "الروح" (ص٨٩).

- **مسألة : هل عذاب القبر غير فتنه القبر؟**

الجواب: عذاب القبر غير فتنة القبر، فالفتنة تكون لجميع الناس إلا من استثني كما تقدم، وأما عذاب القبر فإنه يكون لمن يستحق ذلك، من أهل الذنوب.

عدم تكفير أهل المعاصي التي ما دون الشرك

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٢٦) وَلَا تُكْفِـــرِن أَهْـــلَ الصَّـــلَاةِ -وَإِنْ فَكُلُّهُـمُ يَعْصِـي، وَذُو الْعَـرْشِ يَصْـفَحُ

٢٧) وَلَا تَعْتَقِـــدْ رَأْيَ الْخَـــوَارِجِ؛ إِنَّـــهُ مَقَـالٌ لِمَـــنْ يَهْـــوَاهُ يُـــرْدِي وَيَفْضَـــحُ

٢٨) وَلَا تَـــكُ مَرْجِيًّـــا لَعُوبًـــا بِدِينِـــهِ؛ أَلَا إِنَّمَـــا الْمَرْجِـــيُّ بِالـــدِّينِ يَمْـــرَحُ

الشرح:

ذكر الناظم في هذه الأبيات حكم مرتكب الكبيرة من المسلمين الموحدين، فبين الناظم عقيدة أهل السنة في مرتكب الكبيرة من الموحدين وهي:

أنه مؤمن ناقص الإيمان، أو يقال: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى اسم الإيمان المطلق، ولا ينفى عنه مطلق الإيمان. هذا حكمه في الدنيا وأما في الآخرة فهو تحت المشيئة إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه، وإن عذبه وأدخله النار فلا يخلد فيها، بل يخرج منها بشفاعة الشافعين وبرحمة أرحم الراحمين.

والدليل على أن مرتكب الكبيرة ناقص الإيمان وفاسق فلا يعطى اسم الإيمان المطلق خلافا للمرجئة: حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب**

الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد». متفق عليه[(١)]. وحديث: «**إذا زنى العبد نزع منه الإيمان، فإن تاب أعيد إليه**»[(٢)].

والدليل على أن مرتكب الكبيرة من المسلمين فلا يخرج من الإسلام بالكلية، قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨] إلى أن قال: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨]. فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخا لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب. وقال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]. ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل، بل يقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد.

وجاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**من كانت عنده لأخيه اليوم مظلمة من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون درهم ولا دينار، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه، ثم ألقي في النار**». أخرجه البخاري[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٧٨) ومسلم (٥٧).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٩٠) والحاكم (٥٦) والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٥٣٦) وابن بطة في الإبانة (٩٧٦) واللالكائي في شرح أصول السنة (١٨٦٤) والبيهقي في الشعب (٤٩٧٩) وغيرهم من طريق سعيد بن أبي مريم، أنا نافع بن يزيد، قال: حدثني ابن الهاد، أن سعيد بن أبي سعيد المقبري حدثه، أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان كان عليه كالظلة، فإذا انقطع رجع إليه الإيمان**». وهذا إسناد صحيح، وقد صححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة برقم (٥٠٩).

(٣) برقم (٢٤٤٩).

فثبت أن الظالم يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه. وكذلك جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**ما تعدون المفلس فيكم؟**» قالوا: المفلس فينا من لا له درهم ولا دينار، قال: «**المفلس من يأتي يوم القيامة وله حسنات أمثال الجبال، قد شتم هذا، وأخذ مال هذا، وسفك دم هذا، وقذف هذا، وضرب هذا، فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**». رواه مسلم[(١)].

❁ وإلى هذه المعتقد الصحيح أشار الناظم بقوله: **(ولا تُكْفِّرَنَّ أَهْلَ الصَّلاةِ وإِنْ عَصَوا)** أي: لا تعتقد كفر أهل الصلاة وإن عصوا كما في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم، له ما لنا وعليه ما علينا**» أخرجه البخاري[(٢)].

❁ وفي قوله: **(أَهْلَ الصَّلاةِ)** إشارة إلى كفر تارك الصلاة وأن من لا يصلي فهو كافر ليس بمسلم، والأدلة على كفر تارك الصلاة في الكتاب والسنة كثيرة جداً، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]. وقال تعالى مخبراً عن أصحاب الجحيم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ. قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر:٤٢،٤٣] وروى مسلم في صحيحه[(٣)] عن جابر بن عبد الله -رضي الله تعالى عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**».

---

(١) برقم (٢٥٨١).
(٢) برقم (٣٩٣).
(٣) برقم (٨٢).

وجاء عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**». أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه بإسناد صحيح[(١)].

❁ **وقوله: (وإِنْ عَصَوا)** أي: سواء ارتكبوا كبائر أو صغائر، فلا يجوز تكفيرهم بذلك، فهو رحمه الله يتحدث عن حكم المسلم المصلي إذا ارتكب معاصي دون الكفر فإنه لا يكفر ولا يخرج من الدين، أما إذا وقع في كفر أو شرك، فإنه يكفر إذا توافرت الشروط وانتفت الموانع.

❁ ثم بين السبب في عدم تكفير المسلم بالمعاصي التي هي دون الكفر والشرك فقال: **(فكلُّهُمُ يَعْصِي)** أي: فكل بني آدم يعصي الله، فإذا كان تكفير أهل المعاصي سائغًا فلا يبقى أحد عندئذ على الإسلام، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**»[(٢)].

❁ **وقوله: (وذُو العَرشِ يَصْفَحُ)** أي: صاحب العرش وهو الله تعالى يصفح ويعفوا ويغفر لمن تاب إليه، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

و(العَرشِ) مخلوق استوى عليه الرب تعالى استواء يليق بجلاله وكماله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، ولا يلزم من الاستواء إثبات الجلوس أو القعود، فكل هذه

---

(١) صحيح: أخرجه والترمذي (٢٦٢١) والنسائي (٤٦٣) وابن ماجه (١٠٧٩) وأحمد (٢٢٩٣٧) من طريق الحسين بن واقد، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه به. وهذا إسناد صحيح، وهو في الصحيح المسند للعلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٧١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء بنحوه عن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم برقم (٢٧٤٨).

الأمور مما يأت بها دليل ولم يتكلم بها السلف، وليس هو سبحانه محتاج إلى العرش، بل هو سبحانه الذي يمسكه أن يقع على الأرض، بخلاف عرش المخلوقات، فهو يقلهم ويحملهم.

وهو عرش حقيقي له قوائم، خلافا للجهمية والمعتزلة الذين يقولون هو كناية عن (مُلْك الله)، ودليل ذلك حديث أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ**»[(١)].

والعرش مخلوق منفصل عن الله، وليس هو صفة من صفاته، وإنما الصفة هي الاستواء، وقد نص شيخ الإسلام وابن كثير وغير واحد من العلماء على أن العرش أعظم المخلوقات، لحديث جويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وفيه: «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»[(٢)]، ولو كان شيء أعظم من العرش لذكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[(٣)]

والعرش أعلى المخلوقات؛ لما جاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيْهَا خَمْسُمَائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالكُرْسِيِّ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الكُرْسِيِّ وَالمَاءِ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ، وَالعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ العَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ.[(٤)]

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٠١٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦).

(٣) انظر: "الاستقامة" (٢/ ٢١٤)، و "تفسير بن كثير" سورة يونس رقم الآية (٣).

(٤) حسن: أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٨١) وابن خزيمة في التوحيد (١٧٨) وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٨٨) والطبراني (٨٩٨٧) وغيرهم من طرق عن حماد بن سلمة، عن عاصم ابن بهدلة، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود. وهذا إسناد حسن، رجاله ثقات إلا عاصم بن بهدلة فهو حسن الحديث، والأثر له حكم الرفع. قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الحديث موقوف على ابن مسعود، لكنه من

لكن استثنى بعض العلماء ما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**»[(١)]، وهذا الكتاب كما قال بعض العلماء: غير اللوح المحفوظ.

وبعد أن بيَّن الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ عقيدة أهل السنة والجماعة في أهل الكبائر انتقل إلى ذكر الأقوال المخالفة لأهل السنة في مسألة أهل الكبائر من المسلمين، وهما فرقتان:

الأشياء= =التي لا مجال للرأي فيها، فيكون له حكم الرفع، لأن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يعرف بالأخذ عن الإسرائيليات.

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١٩٤) ومسلم برقم (٢٧٥١).

الفرقة الأولى: الخوارج والمعتزلة

❁ وقد حذر من قولهم بقوله: **(ولا تَعتقِدْ)** أي: لا تؤمن ولا تدن **(رَأيَ الخَوارِجِ)** وتأمل كيف عبر عن الخوارج بأنه رأي؛ لأنه رأي من نتائج عقولهم ومن واختلاق أفكارهم لا يقوم عليها دليل من الكتاب والسنة.

❁ وقوله: **(إنَّهُ .. مَقَالٌ لِمَنْ يهواهُ)** أي: الذي يهوى مقال الخوارج لا يحصل من ورائه إلا الخسران والخزي والفضيحة؛ ولهذا قال الناظم: **(يُرْدِي ويَفْضَحُ)**، فمآل من يهوى هوى الخوارج الخسران والردى في الدنيا والآخرة، وكذلك يفضح ويخزى ولا أعظم من هذا الخزي بأن يكفر المسلمين ويترك الملحدين، ويتسلط على أهل الإسلام ويسلم منه عباد الأوثان، كما قال النبي : يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.

والخوارج سموا بذلك؛ لأن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وصفهم بأنهم: «**يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ**»[1] عندما قام رئيسهم ذو الخويصرة التميمي فطعن في قسمة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وأيضًا لأنهم يخرجون على أئمة المسلمين، وعلى جماعتهم بالاعتقاد والسيف، وهذا وصف عام لكل من سلك سبيلهم إلى يوم القيامة، فكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى: خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٩٣٣)، ومسلم برقم (١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

لكن الخوارج الذين اشتهروا بهذا الاسم هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ اللَّهُ: كان أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع [الخوارج] المارقون.[(١)]

فالخوارج سموا بذلك لأمرين:

١- أنهم خرجوا على أئمة المسلمين ومنهم الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكفروه وناصبوه العداء.

٢- أنهم خرجوا على السنة ففارقوهم في بعض المعتقدات ومنها حكم أهل الكبائر.

ومن أسمائهم: (الحرورية)، نسبة إلى الموضع الذي خرج فيه أسلافهم، حينما انشقوا عن جيش علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاتجهوا إلى موضع قريب من الكوفة (العراق) يسمى: حرورا، ويقال لهم: **(المارقة)**؛ لأنهم هم المقصودون بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[(٢)].

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (٣/ ٣٤٩).

(٢) وهم فرق كثيرة من أشهرهم: الأزارقة: أتباع نافع بن الأزرق، خرجوا في أيام عبد الله بن الزبير. النجدات: أتباع نجدة ابن عامر الحنفي، أقام في اليمامة وبايعته جماعته إمامًا لهم، وقد استولوا على بعض أراضي اليمن والبحرين. الصفرية: أتباع زيد الأصفر، وكان أكبر ظهور لهم هو خروجهم على عبد الملك بن مروان. الإباضية: أتباع عبد الله بن إباض التميمي وقيل تنسب إلى قرية من قرى اليمامة اسمها (إباض) وعبد الله كان من أتباع نافع بن الأزرق.

ومن ضلالات وانحرافات الخوارج

١) **مذهبهم في صفات الله تعالى**: الخوارج لما كان ظهورهم متقدمًا قبل ظهور الخلاف في الأسماء والصفات، وقبل ظهور الجهمية والمعتزلة، لم ينقل عنهم خلاف في الأسماء والصفات.

وأما ما نقله الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أن الخوارج معطلة[١]، فلعله أراد بهم المتأخرين منهم، كالإباضية الذين حرفوا بعض الصفات.

٢) **مذهبهم في الإيمان**: الإيمان عند الخوارج مركب من أقوال وأفعال ظاهرة وباطنة، وهو أداء الواجبات واجتناب المحرمات، وإذا ذهب وزال بعض الإيمان زال سائره، وإذا ذهب بعضه ذهب كله، ومن هنا حصل تكفير لصاحب الكبيرة، بسبب هذا الاعتقاد، فعندهم الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

٣) **مذهبهم في القدر**: هم مفترقون فيه: فمنهم من قال بقول القدرية المعتزلة. ومنهم من قال بقول: الجبرية الجهمية. ومنهم من قال بقول أهل السنة.

ومن مقالاتهم:

١) **يقولون** بخلق القرآن.

٢) **يقولون**: الجنة والنار لم يخلقا بعد، ويتم خلقهما في الدار الآخرة.

٣) **يقولون**: إن رؤية الله يوم القيامة مستحيلة عقلًا.

٤) ينكرون عذاب القبر، وأنه غير صحيح، ولا يعذب أحد في قبره.

٥) ينكرون الصراط.

---

(١) انظر: "التمهيد" (٧/ ١٤٥).

٦) ينكرون الميزان.

٧) ينكرون الشفاعة لأهل المعاصي من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فزعموا إنما هي للمؤمنين خاصة في رفع الدرجات، وأنه لا يشفع لأهل الكبائر؛ لأن الكبائر لا تغفر، ولا يخرجون من النار بعد دخولها، لا بالشفاعة ولا بغيرها.

٨) مرتكب الكبيرة عندهم كافر إذا مات مصرًا غير تائب، ويوم القيامة مأواه النار خالدًا فيها أبدًا، فجميع حسناته حابطة بارتكابه الكبيرة.

٩) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندهم هو الخروج على أئمة الجور وتكفيرهم، فيخرجون على ولي الأمر بأي معصية كانت، فهم أصحاب ثورات وسفك لدماء المسلمين، وتفريق الكلمة، وشق عصًا الطاعة، وهذا الأمر (الإمامة) هو أهم الأمور التي أجمعوا عليها، وقد أجازوا الإمامة في غير قريش.

قول أهل السنة فيهم

الخوارج كما تقدم معنا فرق مختلفة، فمنهم من هو كافر بإجماع العلماء:

١) كرئيسهم ذي الخويصرة التميمي الذي قال: وَاللهِ إِنَّ هَذِهِ القِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ، وقال: اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ**»[(١)].

٢) الذين أضافوا إلى الخروج أفكارًا كفرية: كإنكار سورة يوسف، وإنكار رجم المحصن، وأباحوا نكاح بنت الابن وبنت الأخ والأخت.

وأما الخوراج الذين حصل الخلاف بين أهل العلم في تكفيرهم، فهم الخوارج الذين عندهم بدعة الخروج والتكفير بكبائر الذنوب، ولم يجمعوا مع ذلك كفريات أخرى، وإنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

فهؤلاء في تكفيرهم خلاف بين أهل العلم على قولين:

القول الأول: أن الخوارج كفار.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو مقتضى صنيع البخاري حيث قرنهم بالملحدين، وبذلك صرح القاضي أبو بكر بن العربي.

واختار هذا القول أيضا العلامة ابن باز.

القول الثاني: أن الخوارج مبتدعة ضلال فساق، وأن حكم الإسلام يجري عليهم لتلفظهم بالشهادتين ومواظبتهم على أركان الإسلام وإنما فسقوا بتكفيرهم المسلمين

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٩٣٣)، ومسلم برقم (١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مستندين إلى تأويل فاسد وجرهم ذلك إلى: استباحة دماء مخالفيهم وأموالهم والشهادة عليهم بالكفر والشرك.

وهذا هو الصحيح؛ لأنه الذي جاء عن الصحابة، فقد جاء عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه صرح بعدم كفرهم، قال طَارِق بْن شِهَابٍ: كُنْتُ عِنْدَ عَلِيٍّ حِينَ فَرَغَ مِنْ قِتَالِ أَهْلِ النَّهْرَوَانِ، فَقِيلَ لَهُ: أَمُشْرِكُونَ هُمْ؟ قَالَ: مِنَ الشِّرْكِ فَرُّوا، فَقِيلَ: مُنَافِقُونَ؟ قَالَ: الْمُنَافِقُونَ لَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا، قِيلَ: فَمَا هُمْ؟ قَالَ: إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا فَقَاتَلْنَاهُمْ. (١)

واختار هذا القول الإمام الشاطبي وشيخ الإسلام ومحمد بن إبراهيم آل الشيخ والوادعي رَحِمَهُمُ اللَّهُ (٢).

فالناظم يحذر من الخوارج وقد صحت الأحاديث في التحذير منهم، ومن رأيهم في مرتكب الكبيرة خصوصاً، فإن مذهبهم في مرتكب الكبيرة أنه بذلك يكون كافراً خارجاً من الملة وهو يوم القيامة من المخلدين في النار أبد الآباد.

والمعتزلة قالوا بقول الخوارج في حكم مرتكب الكبيرة واختلفوا في شيء واحد. فاتفقوا أنه يخرج من الإيمان وأنه يخلد يوم القيامة في النار. وخالفوهم في مسألة التنصيص على أنه كافر فقالت المعتزلة ليس بمؤمن وليس بكافر بل هو في منزلة بين المنزلتين فحقيقة قولهم: ليس عنده شيء من الإيمان ولم يدخل في الكفر. وفي الحقيقة مؤدى المذهبين واحد. فالخلاف بينهم لفظي فقط.

وقد جاءت الأدلة بالتحذير من الخوارج فمنها ما يلي:

---

(١) صحيح أخرجه ابن أبي شيبة (٣٨٩١٨) و(٣٩٠٩٧) والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٥٩١) والبيهقي (١٦٧١٣) و(١٦٧٢٢) من طرق صحيحة عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: "مجموع فتاوى محمد بن إبراهيم" (١٢/ ١٧٢). وأما العلامة ابن عثيمين فقد كفر الدعاة منهم، أو من كفر الصحابة؛ لأن كل من كفر الصحابة فهو كافر.

١) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وصف إيمانهم بأنه لا يجاوز حناجرهم، وبأنهم يمرقون من الدين ويخرجون منه ثم لا يعودون إليه، كما جاء في حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ**»(١)، وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لاَ يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إِلَى فُوقِهِ**»(٢).

٢) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وصفهم بأنهم شر الخلق والخليقة، وبأنهم كلاب النار، كما في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ**»(٣)، وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ قَوْمًا يَكُونُونَ فِي أُمَّتِهِ، يَخْرُجُونَ فِي فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ، سِيمَاهُمْ التَّحَالُقُ قَالَ: «**هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ - أَوْ مِنْ أَشَرِّ الْخَلْقِ - يَقْتُلُهُمْ أَدْنَى الطَّائِفَتَيْنِ إِلَى الْحَقِّ**»(٤).

وفي حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**كِلَابُ النَّارِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، هَؤُلَاءِ شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ هَؤُلَاءِ**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٦١١)، ومسلم برقم (١٠٦٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٥٦٢)، ومسلم برقم (١٠٦٤)، وقوله: (فوقه) أي: موضع الوتر من السهم.

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٠٦٧).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٩٣٣)، ومسلم برقم (١٠٦٤).

(٥) حسن: أخرجه أحمد (٢٢١٥١) فقال: حدثنا أبو سعيد، حدثنا عبد الله بن بجير، حدثنا سيار عن أبي أمامة به. وهذا إسناد حسن من أجل سيار وبقية رجاله ثقات، وله طريق أخرى عند أحمد أيضًا، وهو في الصحيح المسند للعلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ برقم (٤٨٢).

وجاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن نَافِعًا سئل: كَيْفَ كَانَ رَأْيُ ابن عُمَرَ فِي الْحَرُورِيَّةِ؟ فقَالَ: كَانَ يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ اللهِ انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتِ الْكُفَّارِ فَجَعَلُوهَا فِي الْمُؤْمِنِينَ[(١)].

٣) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حث على قتلهم، كما جاء في حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(٢)]، وفي حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»[(٣)].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه معلقا ووصله الطبري في "تهذيب الآثار" وابن وهب في "الجامع" كما في "تغليق التعليق" (٥/ ٢٥٩) من طريق عمرو بن الحارث أن بكيرا حدثه أنه سأل نافعا كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية، فذكره. وهذا إسناد صحيح.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٩٣٠)، ومسلم برقم (١٠٦٦).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٣٤٤)، ومسلم برقم (١٠٦٤).

الفرقة الثانية: المرجئة

❁ وإلى هذا أشار الناظم بقوله: **(ولا تَكُ مُرْجِيًا)**.

و(الإرجاء) في اللغة: التأخير، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الأعراف:١١١].

والمرجئة هم الذين يؤخرون العمل عن مسمى الإيمان، والإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص، وأصحاب المعاصي مؤمنون كاملوا الإيمان.

فسمي المرجئة بذلك لأنهم أخروا العمل عن الإيمان وقالوا العمل ليس جزءا من الإيمان.

وهم أربع فرق:

الأولى: **مرجئة الجهمية** وهم الغلاة الذين يقولون: إن الإيمان هو معرفة القلب فقط. وهؤلاء كفار.

الثانية: **مرجئة الأشاعرة** وهم الذين قالوا: إن الإيمان هو تصديق القلب فقط.

الثالثة: **مرجئة الكرامية** وهم الذين قالوا: إن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط.

الرابعة: **مرجئة الفقهاء** (أبي حنيفة) وهم الذين قالوا: إن الإيمان هو تصديق القلب وإقرار اللسان فقط، وأخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان. وهؤلاء لم يكفرهم السلف، مع أنه قول مبتدع.

❁ **فائدة**: الجهمية جمعوا بين الجيمات الثلاث:

جيم التجهم في باب الصفات.

جيم الإرجاء في باب الإيمان.

جيم الجبر في باب القدر.

والجيم الرابعة جيم جهنم، وقد كان الإمام عبد الله بن المبارك يقول:

عجبت لشيطان دعا الناس جهرة إلى النار واشتق اسمه من جهنم

❁ وقد وصف الناظم رحمه الله المرجئة بقوله:

ولا تكن مرجيًا لعوباً بدينه ألا إنما المرجي بالدين يمزحُ

أي: أن المرجئة يمزجون بالدين ويلعبون به، وكلما غلا المرء في الإرجاء كان مزحه ولعبه بالدين أكبر، وذلك أن الزاني وشارب الخمر ومن ارتكب أعظم العظائم والكبائر مؤمن كامل الإيمان إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل، فأي مزح ولعب بالدين أكبر من هذا، وأي فتح لباب المعاصي والموبقات أعظم من هذا.

فإن صاحب الكبائر سيقول إذا كان إيماني تاماً كاملاً وهذه حالي مثل إيمان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فما الحاجة إلى الالتزام بالدين، فتكون النتيجة إذاً هي اتخاذ الدين لهواً ولعباً، وهذا قول في غاية الخبث والفساد، وهو سبيل لترك الصلوات ومنع الزكاة وترك الصيام والحج وغير ذلك من الطاعات وذريعة لفعل الفواحش والموبقات، ولا يرتاب عاقل أن هذا لعب بالدين، وأي عبث أفظع وأشد من هذا العبث.

والحاصل في مسألة مرتكب الكبيرة: أن فيها ثلاثة أقوال: قول أهل السنة والجماعة وهو قول عدل وسط، وقولان متناقضان.

الإيمان عند أهل السنة

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٢٩) وَقُلْ: إِنَّمَا الْإِيمَانُ «قَوْلٌ، وَنِيَّةٌ، وَفِعْلٌ» عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ

٣٠) وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي، وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمِي، وَفِي الْوَزْنِ يَرْجَحُ

الشرح:

❁ ذكر الناظم في هذين البيتين تعريف الإيمان عند أهل السنة.

(الإيمان) لغة: التصديق بالشيء مع الإقرار به المستلزم للقبول للأخبار والإذعان للأحكام[(١)].

ومن عرفه من أهل السنة بقوله: الإيمان هو التصديق، فقد غلط لأن التصديق فقط بدون إقرار لا يسمى إيمانا، فالإيمان يتضمن معنى زائداً على مجرد التصديق، وهو الإقرار والاعتراف المستلزم للقبول للأخبار والإذعان للأحكام، ومن عرفه بالتصديق فقط، فقوله هذا يوافق قول المرجئة؛ لأن الإيمان عندهم مجرد التصديق.

نبه على هذا شيخ الإسلام وابن عثيمين، وقال حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن هنا يتبين لك أن من قال من أهل السنة في الإيمان: هو التصديق على ظاهر اللغة، أنهم إنما عنوا التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد ظاهرا وباطنا بلا شك، لم يعنوا مجرد التصديق فإن إبليس لم يكذب في أمر الله تعالى له بالسجود وإنما أبى عن الانقياد

---

(١) الفرق بين التصديق والإقرار: أن التصديق هو اعتبار الشيء صدقا لا كذب فيه. وهو يقابل الأخبار. وأما الإقرار فهو الاعتراف بالشيء والخضوع، وهو يقابل الأحكام. انظر: "مجموع الفتاوى" (٢/ ١٤٠).

كفرا واستكبارا، واليهود كانوا يعتقدون صدق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولم يتبعوه، وفرعون كان يعتقد صدق موسى ولم ينقد، بل جحد بآيات الله ظلما وعلوا.اهـ[١]

وتعريف الإيمان في الشرع: هو قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. وقد أجمع السلف على هذا التعريف[٢]

وإلى هذا أشار الناظم بقوله: (**وقُلْ**) أيها السني السلفي (**إنَّما الإيمانُ**) أي: حقيقة الإيمان:

١- (**قَوْلٌ**) أي: باللسان كالتكلم بالشهادتين، وجميع الأقوال التي أمر الله بها.

٢- (**ونيَّةٌ**) أي: الاعتقاد بالقلب، كالاعتقاد الصحيح بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، ويشمل أيضا أعمال القلوب كالإخلاص، والتوكل، والإنابة، والمحبة، والخوف، والانقياد، وغير ذلك من أعمال القلوب.

٣- (**وفِعْلٌ**) أي: عمل بالجوارح كالصلاة، والحج، والصيام والجهاد، وسائر الأعمال الصالحة، فإنها داخلة في الإيمان.

❁ **وقوله**: (**عَلَى قَولِ النبيِّ مُصَرَّحُ**) أي: هذا التعريف قد صرح به النبي في أحاديث كثيرة ومنها: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن**

---

(١) انظر: "الإيمان" (ص٢٠٣)، و"شرح العقيدة الواسطية" لابن عثيمين (١/ ٥٤)، و"معارج القبول" (٢/ ٥٩٤).

(٢) نقله الإمام اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٤/ ٩١١) وشيخ الإسلام في "مجموع الفتاوى" (٧/ ٣٣٠) وابن القيم في "مدارج السالكين" (١/ ٤٢٢) وابن رجب في "فتح الباري" (١/ ٥) وغيرهم.

الطريق»[١]. فهذا الحديث فيه التصريح بأن الإيمان شامل ما يكون باللسان والجوارح والقلب.

أما دلالته على ما يكون باللسان ففي قوله: "أعلاها قول لا إله إلا الله"، والقول يشمل قول القلب وقول اللسان عندما يطلق. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} (فصلت:٣٠) وقال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة:١٣٦].

وأما دلالته على دخول ما يكون بالجوارح في مسمى الإيمان ففي قوله: "وأدناها إماطة الأذى عن الطريق" وهذا يدل على دخول الأعمال في مسمى الإيمان. فإماطة الأذى عمل يقوم به الإنسان وهو جزء من الإيمان وشعبة من شعبه.

وأما دلالته على دخول ما يكون بالقلب في مسمى الإيمان ففي قوله: "والحياء شعبة من الإيمان" والحياء عمل من أعمال القلوب، وهو داخل في مسمى الإيمان، فالخشية والتوكل والرغبة والرهبة وغيرها من الأعمال القلبية المأمور بها كلها داخلة في مسمى الإيمان.

- **مسألة: هل الأعمال داخلة في مسمى الإيمان؟**

الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان، وعلى هذا إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، بل أنكر السلف على من أخرج الأعمال من الإيمان إنكارا شديدا، وجعلوا قوله مبتدعا.

---

(١) أخرجه البخاري (٩) ومسلم (٣٥).

والأدلة على أن الأعمال من الإيمان كثيرة جدا، ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١] وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢]. فجعل الله جملة من الأعمال القلبية والقولية والفعلية من الإيمان .

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي قال: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ». متفق عليه(١).

وجاء في حديث ابن عباس أَنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَرَهُمْ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، قَالَ: «أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ»، وَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَأَنَّ تُؤَدُّوا خُمُسًا مِنَ الْمَغْنَمِ»، وَنَهَاهُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالْمُزَفَّتِ والنَّقِيرِ. متفق عليه(٢).

وجاء عن أبي أمامة الحارثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «البذاذة من الإيمان» رواه أحمد وابن ماجه(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٩) ومسلم (٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٧٩) ومسلم (١٧).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٢٤٠٠٩) وابن ماجه (٤١١٨) والحاكم (١٨) والبيهقي في الشعب (٥٧٦٢) من طريق عبد الله بن أبي أمامة الحارثي عن أبيه به. وهذا إسناد حسن، وقد حسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة (٣٤١).

وجاء في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ». أخرجه مسلم[1] فجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأعمال من الإيمان؛ لأنه جعل تغيير المنكر باليد وهو عمل بالجوارح وباللسان وهو قول وبالقلب، وكل ذلك من الإيمان.

- **مسألة: هل الأعمال شرط في الإيمان؟ وهل هو شرط صحة أو شرط كمال؟**

القول بـ (أن الأعمال شرط لصحة الإيمان أو لكماله) هذه من الألفاظ المبتدعة التي لم يتكلم بها السلف، وإنما قال السلف: الأعمال من الإيمان، وأما هذه الألفاظ فهي مجملة يقصد بها أهل البدع مقاصد سيئة، فالخوارج والمعتزلة جعلوا جميع الأعمال شرط صحة في الإيمان ليكفروا صاحب الكبيرة من المسلمين، وقابلهم المرجئة فجعلوا جميع الأعمال شرط كمال في الإيمان، بل غلاة المرجئة لا يدخلون الأعمال من أصلها في الإيمان.

وتوسط بعض أهل السنة فقالوا: لا نبُتُّ القول في ذلك مطلقا ولا ننفيه، بل لابد من التفصيل فنقول: الأعمال مجموعها وجنسها ركن في الإيمان، وأما مفردات الأعمال فتختلف بحسب العمل، فمن الأعمال ما يزول بتركه الإيمان من أصله كالصلاة، ومن الأعمال ما يزول بتركه كمال الإيمان الواجب مثل بر الوالدين، ومنها ما يزول بتركه كمال الإيمان المستحب كإماطة الأذى عن الطريق، كلٌ بحسب ما دلت عليه الأدلة.

وهذا التعبير بالركنية أدق من تعبير بعض العلماء كالعلامة ابن باز وابن عثيمين بالشرطية، حيث قالوا: إن جنس الأعمال شرط في الإيمان، وهذا قد يُعترض به علينا

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

بأن الشرط خارج عن المشروط (**ماهية الشيء**)، فكيف تقررون بأن العمل من الإيمان، ثم تقولون: إن العمل شرط في الإيمان؟!.

❁ **وقوله:** (**ويَنْقُصُ طَوْرًا بالمعَاصِي**) أي: أن الإيمان ينقص تارة بالمعاصي، (**وَتَارةً .. بطَاعَتِهِ يَنْمِي**) أي: وتارة يزيد الإيمان بطاعة الله، فـ(**يَنْمِي**) أي: يزداد ويكثر، وفي نسخة: (**بطَاعَتِهِ يَنْمو**) وهو بمعناه.

❁ **وقوله:** (**وفي الوَزنِ يَرْجَحُ**) أي: أن الإيمان في الميزان يوم القيامة يثقل؛ لزيادته بالطاعات والبعد عن معاصيه. ففي هذا البيت يقرر الناظم أن الإيمان يزيد وينقص ويقوى ويضعف. وهذا هو الإيمان عند أهل السنة والجماعة أنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران:١٧٣]. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال:٢]. ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [التوبة:١٢٤]. ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب:٢٢]. ﴿هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَللهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الفتح:٤]. ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا} [المدثر:٣١]. ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى} [مريم:٧٦].

ومن السنة: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي في الباب وفيه: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**». متفق عليه.

وحديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**». رواه مسلم[(١)].

وروى الترمذي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله: فقد استكمل الإيمان**»[(٢)].

وأما الأدلة على نقصان الإيمان بالمعاصي: فكل دليل دل على زيادة الإيمان فهو يدل على نقصانه، فالآيات المتقدمة التي ظاهرها الدلالة على زيادة الإيمان فقط،

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠).

(٢) حسن: أخرجه أبو داود (٤٦٨١) والطبراني (٧٦١٣) وغيرهما من طرق عن يحيى بن الحارث الذماري عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة به. وهذا إسناد حسن، رجاله كلهم ثقات إلا القاسم بن عبد الرحمن مختلف فيه، والراجح تحسين حديثه ما لم يتفرد بما ينكر عليه، كما رجح ذلك العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

وله شاهد من حديث معاذ بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وله طريقان: الأولى: أخرجه أحمد (١٥٦٣٨) والترمذي (٢٥٢١) والحاكم (٢٦٩٤) من طريق أبي مرحوم عبد الرحيم بن ميمون، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من أعطى لله، ومنع لله، وأحب لله، وأبغض لله، وأنكح لله، فقد استكمل إيمانه**». وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف عبد الرحيم بن ميمون، وسهل بن معاذ.

الطريق الثانية: أخرجه أحمد (١٥٦١٧) والطبراني (٢٠/ ١٨٨) من طريق ابن لهيعة، عن زبان، عن سهل بن معاذ، عن أبيه، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**من أعطى لله تعالى، ومنع لله تعالى، وأحب لله تعالى، وأبغض لله تعالى، وأنكح لله تعالى فقد استكمل إيمانه**». وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف ابن لهيعة، وزبان بن فايد وسهل بن معاذ. وقد صححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة برقم (٣٨٠).

فهي تدل على نقص الإيمان باللزوم، وذلك لأن الزيادة تستلزم النقص، ولأن ما جاز عليه الزيادة جاز عليه النقص، ولأن الزيادة لا تكون إلا عن نقص.

وهناك أحاديث صريحة بذلك فمنها: حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي في الباب قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**». أخرجه مسلم(١).

وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**». رواه مسلم(٢).

وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن**». متفق عليه(٣).

وحديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا معشر النساء، تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار» فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: «**تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن**» قالت: يا رسول الله، وما نقصان العقل والدين؟ قال: أما نقصان العقل: فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي، وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين(٤).

---

(١) برقم (٤٩).

(٢) برقم (٢٦٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٥٧٨) ومسلم (٥٧).

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٤) ومسلم (٨٠) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وانفرد به مسلم عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا برقم (٧٩) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم (٨٠).

وهذا أصرح حديث نص على نقصان الإيمان، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والصحابة قد ثبت عنهم أن الإيمان يزيد وينقص وهو قول أئمة السنة، والقرآن قد نطق بالزيادة في غير موضع ودلت النصوص على نقصه كقوله: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**» ونحو ذلك **لكن لم يعرف هذا اللفظ إلا في قوله في النساء** «**ناقصات عقل ودين**» **وجعل من نقصان دينها أنها إذا حاضت لا تصوم ولا تصلي وبهذا استدل غير واحد على أنه ينقص**.اهـ[(١)]

❊ تنبيه:

حديث: «**الإيمان لا يزيد ولا ينقص، زيادته ونقصانه كفر**»، حديث موضوع[(٢)].

- **مسألة: ما هي الأقوال المخالفة لأهل السنة في تعريف الإيمان؟**

الذين خالف أهل السنة والجماعة في الإيمان طوائف كثيرة، وقد انقسموا إلى فرقتين وهما:

الفرقة الأولى: الخوارج والمعتزلة.

قالوا: الإيمان قول وعمل واعتقاد فالإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص، فهم جعلوا جميع الأعمال الواجبة شرطا لصحة الإيمان، فإذا وقع العبد في كبيرة من الكبائر فقد خرج من الإيمان، وإذا ترك أيضا واجبا فقد خرج من الإيمان.

---

(١) انظر: "مجموع الفتاوى" (١٣/ ٥٠)، و"شرح الطحاوية لابن أبي العز" (ص٧١٠).

(٢) موضوع: أخرجه الجوزقاني في "الأباطيل" (١/ ١٤٤) وابن الجوزي في "الموضوعات" (١/ ١٣٠) قال الجوزقاني: هذا حديث موضوع باطل لا أصل له، وهو من موضوعات أبي مطيع .اهـ وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع بلا شك وهومن وضع أبي مطيع واسمه الحكم بن عبد الله البلخي. اهـ وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا الحديث مخالف للآيات الكثيرة المصرحة بزيادة الإيمان كقوله تعالى: ﴿**ليزداد الذين آمنوا إيمانا**﴾ [الفتح: ٤] فكفى بهذا دليلا على بطلان مثل هذا الحديث، وإن قال بمعناه جماعة. اهـ في "الضعيفة" برقم (٤٦٤).

فالأعمال من الإيمان فمن تركها فقد ترك بعض الإيمان، وإذا زال بعضه زال جميعه؛ لأن الإيمان لا يتبعض ولا يكون في العبد إيمان ونفاق. وعلى هذا فلا تأثير إذن لدخول الأعمال في مسمى الإيمان عندهم على زيادة الإيمان ونقصانه.

واستدلوا بحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن**».

وبحديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**». متفق عليه من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)].

فارتكاب الكبائر عندهم مخرج من الإيمان بالكلية، على خلاف بينهم في تسميته كافرا، فالخوارج قطعوا بكفره، ونازعهم المعتزلة في الاسم وقالوا نحن لا نسميه مؤمنا ولا كافرا، وإنما هو في منزلة بين المنزلتين أي: بين منزلة الإيمان والكفر، وإن كانوا قد اتفقوا جميعا أنه يوم القيامة خالد مخلد في نار جهنم.

وهذا القول باطل؛ لأن الإيمان يتجزأ ويتبعض لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**». متفق عليه[(٢)].

وهذه الشعب بعضها قول وبعضها اعتقاد وبعضها عمل وسماها كلها إيمانا فقال: « **الإيمان بضع وسبعون شعبة** » ولو كان شيئًا واحدًا لم يتشعب.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨) ومسلم (٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٩) ومسلم (٣٥).

وأما ما استدلوا به من الحديثين، فالحديث الأول وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن**» .

فالجواب عنه: أن المراد بهذا النفي: نفي كمال الإيمان الواجب عمن اقترف هذه المعاصي وأنه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، والدليل على هذا المعنى ما يلي:

١): قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّه لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾

٢): وحديث عبادة بن الصامت أنهم بايعوه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ألا يسرقوا ولا يزنوا ولا يعصوا، إلى آخره، ثم قال: «**وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ**»[(١)].

٣): حديث أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ " قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**» ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ: «**عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ**» قَالَ: فَخَرَجَ أَبُو ذَرٍّ وَهُوَ يَقُولُ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ. متفق عليه[(٢)]

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٣٧) ومسلم (٩٤).

٤): أن هذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره، كما يقال لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا عيش الآخرة.

٥): **قال النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مع إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك بل هم مؤمنون ناقصوا الإيمان إن تابوا سقطت عقوبتهم، وإن ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة، فإن شاء الله تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولا، وإن شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة.اهـ[1]

وأما الحديث الثاني وهو حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"**.

فالمراد به كفر دون كفر –الكفر الأصغر–؛ لأمور وهي:

١): أن الله وصف الطائفتين بالإيمان حال اقتتالهما فقال: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} الآية.

٢): أن الله سمى القاتل أخا للمقتول فقال تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ} والمراد الأخوة الإيمانية، فدل ذلك على أن القتل وإن سماه الشارع كفرا فإنه لا يخرج من الملة، فهو كفر دون كفر.

٣): أن القاعدة أن الكفر المنكر المراد به الكفر الأصغر، بخلاف الكفر المعرف فإنه يراد به الكفر الأكبر.

الفرقة الثانية: المرجئة.

وهم الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، ثم اختلفوا بينهم في حقيقة الإيمان على أربعة أقوال، ونبدأ بذكر أخبث الأقوال ثم الذي يليه:

---

(١) "شرح مسلم" (٥٧).

أولًا: مرجئة الجهمية.

قالوا: الإيمان مجرد معرفة القلب فقط. ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر المرجئة، ومنهم من لا يدخلها في الإيمان كجهم ومن اتبعه.

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا القول أظهر فسادا مما قبله! فإن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين، فإنهم عرفوا صدق موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، ولم يؤمنوا بهما، ولهذا قال موسى لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] . وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤] . وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كما يعرفون أبناءهم، ولم يكونوا مؤمنين به، بل كافرين به، معادين له. بل إبليس يكون عند الجهم مؤمنا كامل الإيمان! فإنه لم يجهل ربه، بل هو عارف به، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦]. ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩] . ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

ثانيًا: مرجئة الكرامية.

قالوا: الإيمان هو مجرد النطق باللسان.

وهذا قول باطل؛ فإنهم يحكمون على المنافقين بالإيمان؛ لأنهم نطقوا بالشهادتين وإن كفروا بقلوبهم، فكل من نطق بلسانه وقال: أنا مؤمن فهو مؤمن، وكل من أتى بناقض من نواقض الإسلام أنه مؤمن كامل الإيمان.

وهذا الحكم منهم لهؤلاء بالإيمان إنما هو مجرد تسمية لهم بذلك في هذه الدنيا، وأما يوم القيامة فالمنافق مخلد في النار؛ لأنه آمن ظاهرا لا باطنا وإنما يدخل الجنة من آمن ظاهرا وباطنا. وهذه القول أول من أحدثه الكرامية، ولم يسبقها أحد إلى هذا القول وهو آخر ما أحدث من الأقوال في الإيمان.

ثالثًا: مرجئة الماتريدية والأشاعرة.

قالو: الإيمان هو تصديق القلب فقط.

رابعًا: مرجئة الفقهاء.

قالوا: الإيمان هو تصديق القلب وقول اللسان فقط، وأخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان، وهذا قول حماد بن أبي سليمان وتبعه أبو حنيفة وأصحاب الكوفة.

وجميع هذه الأقوال مباينة للحق مخالفة للصواب الوارد في الكتاب والسنة، والمنقول عن سلف الأمة في تعريف الإيمان وأنه شامل للأقوال والاعتقادات والأعمال.

- **مسألة: ما هو سبب نشأة الخلاف في الإيمان؟**

سبب الخلاف يرجع إلى بدعة الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة والحكم بخلوده يوم القيامة في نار جهنم، فإن هذه البدعة جرت وراءها بدعـًا، وبيان ذلك أن الخوارج لما قالوا ببدعتهم احتجوا لها بنصوص الوعيد والتهديد، وأهملوا ما يقابلها من نصوص الرجاء والثواب والمغفرة، فقابلتهم طائفة ببدعة أخرى فقالت: إن المعاصي ليس لها تأثير في الإيمان فالإيمان لا يضر معه ذنب كما أن الكفر لا ينفع معه طاعة، واحتجوا لقولهم هذا بنصوص الوعد والرجاء، وأهملوا نصوص الوعيد كلها فقابلوا بدعة الخوارج ببدعة مثلها.

فجاءت المعتزلة وتوسطوا في الأمر حسب ظنهم فقالوا: إن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان لكنه لا يدخل في الكفر بل يكون في منزلة بين المنزلتين، أي بين منزلة الكفر ومنزلة الإيمان في الدنيا فأحدثوا بذلك بدعة ثالثة مع موافقتهم للخوارج في الحكم عليه بالخلود في النار.

فالمرجئة جعلوه في منزلة الإيمان الكامل، والخوارج جعلوه في منزلة الكفر الكامل والمعتزلة لم يجعلوه لا في الكفر ولا في الإيمان، فهذه ثلاث بدع.

والحقيقة أن هذه البدع الثلاث عائدة إلى اعتقاد الجميع أي الخوارج والمعتزلة والمرجئة أنه لا يجتمع مع الإيمان شيء من شعب الكفر أو شعب النفاق فإن وجد شيء من ذلك انتفى الإيمان كله عند الجميع.

التحذير من الأهواء والآراء المضلة

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٣١) وَدَعْ عَنْكَ آراءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ فَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ

الشرح:

يحذر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا البيت من الأهواء والآراء المضلة، لأنها منشأ العقائد الباطلة، فما نشأت العقائد المنحرفة والبدع المضلة وما عطلت الأسماء والصفات إلا بسبب الرأي المذموم القائم على الحدس والظن والعقل المجرد مع تعطيل النصوص وإهمالها والصدود والإعراض عنها، فالواجب على المسلم أن يحذر منها وأن لا يغتر بتزيين أهل الباطل لها.

ولهذا قال الناظم: (وَدَعْ) أي: اترك، واحذر، واجتنب (آراءَ الرِّجالِ وَقولَهُم) أي: لا تبن دينك وعقيدتك على الآراء المتكلفة والأقوال المحدثة المبنية على الهوى، بل ابنها على الكتاب والسنة ففيهما السلامة والعصمة.

وقوله: (آراءَ الرِّجالِ) ذكر الرجال هنا لا مفهوم له، فالرأي الباطل مذموم سواء كان من الرجال أو النساء، ولكن ذكر الناظم الرجال؛ لأنهم أصحاب الرأي في الغالب.

وقوله: (فَقْولُ رَسُولِ اللهِ) أي: الصحيح الثابت عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَزكى) أي: أطهر وأنقى وأخلص، وفي بعض النسخ (أَولى) أي: بالأخذ والتقديم، (وَأَشْرَحُ) أي للصدر وللفؤاد والقلب وأدعى للطمأنينة. والناس يوم القيامة لا يسألون إلا عن ذلك كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٦٥] فلا

يسألون عن آراء الرجال وأقوالهم، وإنما يسألون عما جاءتهم به رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه.

وقد حذر الله تعالى ورسوله والسلف الصالح من ذلك أشد تحذير ومن ذلك ما يلي:

قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٤٥].

قال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٩].

قال تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:٧١].

قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:٥٠].

قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨].

وعن عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَنْزِعُ العِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ العُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ، يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ». متفق عليه[١]

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٠٧) ومسلم (٢٦٧٣).

وجاء عن السلف رحمهم الله آثار كثيرة في التحذير من الآراء وذم الرأي وأهله، من ذلك عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفَّيْهِ. أخرجه أبو داود بإسناد صحيح[(١)].

وقال الأوزاعي رحمه الله: " عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم"[(٢)].

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١٦٢) والبيهقي (١٣٨٦) من طريق حفص بن غياث، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن عبد خير، عن علي به. وهذا إسناد صحيح، وهو في الصحيح المسند للعلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (٩٦٧).

(٢) صحيح: أخرجه الآجري في "الشريعة" (١٢٧) والبيهقي في "المدخل" (٢٣٣) من طريق العباس بن الوليد بن مزيد قال: أخبرني أبي قال: سمعت الأوزاعي فذكره. وهذا إسناد صحيح.

التحذير من المبتدعة

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٣٢) وَلَا تَـكُ مِـنْ قَـوْمٍ تَلَهَّـوْ بِـدِينِهِمْ فَـتَقْطَعَنَّ فِـي أَهْـلِ الْحَـدِيثِ وَتَقْـدَحُ

الشرح:

هذا البيت ذكر فيه الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ التحذير من أهل البدع، وبين بعض صفاتهم فقال: (وَلا تَكُ) أي: احذر أن تكون أيها المسلم (مِن قوْمٍ تَلَهَّوْ بِدِينِهِم) أي: ممن اتخذوا دينهم لهواً ولعباً. وهذا شامل لأهل البدع وأهل الفسق والفجور؛ فإن الجميع يشتركون في ذلك بين مقل ومستكثر بسبب جهلهم بالسنة، واتباعهم لأهوائهم.

وقد حذر الله تعالى ورسوله من أهل البدع ومن مجالستهم فقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم:٢٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

وجاء عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**» متفق عليه(١).

و عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تَلاَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ * مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ * وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ * وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ * وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ * وَالرَّاسِخُونَ فِى العِلْمِ يَقُولُونَ: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ} قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ» متفق عليه(٢).

وفي مسلم(٣) عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ، لَا يُضِلُّونَكُمْ، وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ».

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ، وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٣٤) ومسلم (٢٦٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٣٤) ومسلم (٢٦٢٨).

(٣) برقم (٧).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (١٩٨٧٥) وأبو داود (٤٣١٩) من طريق حميد بن هلال، عن أبي الدهماء، سمعت عمران بن حصين فذكره. وهذا إسناد صحيح، وهو في "الصحيح المسند" للعلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٠١٩).

وجاء عن الصحابة التحذير من المبتدعة ومجالستهم:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ مَمْرَضَةٌ لِلْقُلُوبِ.(١)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَهُ أَهْلُ الْقَدَرِ، فَقَالَ: «لَوْ رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ لَعَضَضْتُ أَنْفَهُ»(٢).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ فُلَانًا يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ. قَالَ: «بَلَغَنِي أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ، فَإِنْ كَانَ قَدْ أَحْدَثَ، فَلَا تَقْرَأْ عَلَيْهِ السَّلَامَ»(٣).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود قَالَ: «اعْتَبِرُوا الرَّجُلَ بِمَنْ يُصَاحِبُ ، فَإِنَّمَا يُصَاحِبُ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ»(٤).

وعَنِ الْحَسَنِ وَابْنِ سِيرِينَ: أَنَّهُمَا قَالَا: «لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ، وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، وَلَا تَسْمَعُوا مِنْهُمْ»(٥).

وعن أَبي قِلَابَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ»(٦).

وعَنْ أَسْمَاءَ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: دَخَلَ رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ عَلَى ابْنِ سِيرِينَ فَقَالَا: يَا أَبَا بَكْرٍ نُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَا: فَنَقْرَأُ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ؟ قَالَ: «**لَا، لَتَقُومَانِ عَنِّي أَوْ لَأَقُومَنَّ**»، قَالَ: فَخَرَجَا، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا أَبَا بَكْرٍ، وَمَا

---

(١) حسن: أخرجه الآجري في "الشريعة" (١٣٣) بسند حسن.

(٢) صحيح: أخرجه عبد الله بن أحمد في "السنة" (٢/ ٤٢١) بسند صحيح.

(٣) حسن: أخرجه الدارمي (٤٠٧) بسند حسن.

(٤) حسن: أخرجه ابن بطة في "الإبانة" (٥٠٠) بسند حسن.

(٥) صحيح: أخرجه الدارمي (٤١٥) وابن بطة في "الإبانة" (٣٩٥) بسند صحيح.

(٦) صحيح: أخرجه الدارمي (٤٠٥) والآجري في "الشريعة" (١١٤) وابن بطة في "الإبانة" (٣٦٣) بسند صحيح.

كَانَ عَلَيْكَ أَنْ يَقْرَآ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: «إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْرَآ عَلَيَّ آيَةً فَيُحَرِّفَانِهَا، فَيَقِرُّ ذَلِكَ فِي قَلْبِي»[(١)].

وعَنْ سَلَّامِ بْنِ أَبِي مُطِيعٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، قَالَ: لِأَيُّوبَ، يَا أَبَا بَكْرٍ، أَسْأَلُكَ عَنْ كَلِمَةٍ؟ قَالَ: «**فَوَلَّى، وَهُوَ يُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ وَلَا نِصْفَ كَلِمَةٍ**»[(٢)].

وعَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: إِذَا لَقِيتَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ فَخُذْ فِي غَيْرِهِ.[(٣)]

وعن مُصْعَبَ بْنَ سَعْدٍ ، يَقُولُ: لَا تُجَالِسْ مَفْتُونًا ، فَإِنَّهُ لَنْ يُخْطِئَكَ مِنْهُ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ ، إِمَّا أَنْ يَفْتِنَكَ فَتَتَابِعُهُ ، وَإِمَّا أَنْ يُؤْذِيَكَ قَبْلَ أَنْ تُفَارِقَهُ[(٤)].

وعن مَعْمَرٌ ، قَالَ: كَانَ ابْنُ طَاوُسٍ جَالِسًا ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ ، فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ قَالَ: فَأَدْخَلَ ابْنُ طَاوُسٍ إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ قَالَ: وَقَالَ لِابْنِهِ: أَيْ بُنَيَّ ، أَدْخِلْ إِصْبَعَيْكَ فِي أُذُنَيْكَ ، وَاشْدُدْ ، وَلَا تَسْمَعْ مِنْ كَلَامِهِ شَيْئًا ، قَالَ مَعْمَرٌ: يَعْنِي أَنَّ الْقَلْبَ ضَعِيفٌ[(٥)].

وعن أَبِي الْجَوْزَاءِ قال: لَأَنْ تُجَاوِرَنِي الْقِرَدَةُ وَالْخَنَازِيرُ فِي دَارٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُجَاوِرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ ، وَقَدْ دَخَلُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩][(٦)].

وقِيلَ لِلْأَوْزَاعِيِّ: إِنَّ رَجُلًا يَقُولُ: أَنَا أُجَالِسُ أَهْلَ السُّنَّةِ ، وَأُجَالِسُ أَهْلَ الْبِدَعِ ، فَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: هَذَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يُسَاوِيَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

---

(١) صحيح: أخرجه الدارمي (٤١١) بسند صحيح.

(٢) صحيح: أخرجه الدارمي (٤١٢) والآجري في "الشريعة" (١٢٠) بسند صحيح.

(٣) حسن: أخرجه الآجري في "الشريعة" (٢٠٤٢) بسند حسن.

(٤) صحيح: أخرجه ابن بطة في "الإبانة" (٣٨٥) بسند صحيح.

(٥) صحيح: أخرجه ابن بطة في "الإبانة" (٤٠٠) بسند صحيح.

(٦) صحيح: أخرجه ابن بطة في "الإبانة" (٤٦٦) بسند صحيح.

قَالَ ابن بطة رحمه الله: صَدَقَ الْأَوْزَاعِيُّ ، أَقُولُ: إِنَّ هَذَا رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَلَا الْكُفْرَ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَفِي مِثْلِ هَذَا نَزَلَ الْقُرْآنُ ، وَوَرَدَتِ السُّنَّةُ عَنِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤](١).

وعن أَحْمَدَ بْنَ سِنَانٍ قال: " لَئِنْ يُجَاوِرَنِي صَاحِبُ طُنْبُورٍ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُجَاوِرَنِي صَاحِبُ بِدْعَةٍ ، لِأَنَّ صَاحِبَ الطُّنْبُورِ أَنْهَاهُ، وَأَكْسَرُ الطُّنْبُورَ ، وَالْمُبْتَدِعُ يُفْسِدُ النَّاسَ ، وَالْجِيرَانَ ، وَالْأَحْدَاثَ(٢).

وقال أيضا: «**إِذَا جَاوَرَ الرَّجُلُ صَاحِبَ بِدْعَةٍ أَرَى لَهُ أَنْ يَبِيعَ دَارَهُ إِنْ أَمْكَنَهُ ، وَلْيَتَحَوَّلْ وَإِلَّا أَهْلَكَ وَلَدَهُ ، وَجِيرَانَهُ**». فَنَزَعَ ابْنُ سِنَانٍ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ سَمِعَ مِنْكُمْ بِالدَّجَّالِ ، فَلْيَنْأَ عَنْهُ - قَالَهَا ثَلَاثًا - فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ ، وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَاذِبٌ ، فَيَتْبَعُهُ لِمَا يَرَى مِنَ الشُّبُهَاتِ**»(٣).

وعن إبراهيم بن ميسرة رحمه الله قال: مَنْ وَقَرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ؛ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ(٤).

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيُبْغِضُونَ أَهْلَ البِدَعِ الذينَ أَحْدَثُوا فِي الدِّينِ مَا لَيسَ مِنْهُ، وَلَا يُحِبُّونَهُم وَلَا يَصْحَبُونَهُم، وَلَا يَسْمَعُونَ كَلَامَهُم وَلَا يُجَالِسُونَهُم، وَلَا يُجَادِلُونَهُم فِي الدِّينِ وَلَا يُنَاظِرُونَهم، وَيَرَونَ صَونَ آذانِهِم عَنْ سَمَاعِ أَبَاطِيلِهِم التِي إِذَا مَرَّتْ بِالآذَانِ وَقَرَّتْ فِي القُلوبِ ضَّرتْ، وَجَرَّتْ إِلَيهَا مِنْ الوَسَاوِسِ

---

(١) صحيح: أخرجه ابن بطة في "الإبانة" (٤٣٠) بسند صحيح.
(٢) صحيح: أخرجه ابن بطة في "الإبانة" (٤٧٣) بسند صحيح.
(٣) صحيح: أخرجه ابن بطة في "الإبانة" (٤٧٤) بسند صحيح.
(٤) صحيح: أخرجه الهروي في "ذم الكلام" (٩٢٧) بسند صحيح.

وَالخَطَرَاتِ الفَاسِدَةِ مَا جَرَّتْ. وَفِيهِ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَولَهُ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام:٦٨].

ثم ذكر علامات أهل البدع وعلامات أهل السنة ثم قال: وَاتَّفَقُوا مَعَ ذَلِكَ عَلَى القَولِ بِقَهْرِ أَهْلِ البِدَعِ وَإِذْلَالِهِم وَإِخْزَائِهِم وَإِبْعَادِهِم وَإِقْصَائِهِم، وَالتَّبَاعُدِ مِنْهُم وَمِنْ مُصَاحَبَتِهِم وَمُعَاشَرَتِهِم وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمُجَانَبَتِهِم وَمُهَاجَرَتِهِم.اهـ[١]

❁ **وقول الناظم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَتَطْعَنَ فِي أَهَلِ الحَدِيثِ وتَقْدَحُ)** إشارة إلى بعض صفات وعلامات أهل البدع فمن علاماتهم:

١- الطعن في أهل السنة. ولهذا قال: (فتطعن في أهل الحديث وتقدح) كما روي عن أبي حاتم أنه قال: علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر[٢].

وقال أحمد بن سنان القطان: ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث فإذا ابتدع الرجل نزع حلاوة الحديث من قلبه)[٣].

٢- أنهم يتصفون بغير الإسلام والسنة بما يحدثونه من البدع القولية والفعلية والعقائدية.

٣- أنهم يتعصبون لآرائهم فلا يرجعون إلى الحق وإن تبين لهم.[٤]

(١) انظر: "عقيدة أصحاب الحديث" (ص٨٢).

(٢) صحيح: أخرجه الصابوني في "عقيدة السلف" (ص٨٥) بسند صحيح.

(٣) صحيح: أخرجه الصابوني في "عقيدة السلف" (ص٨٣) بسند صحيح.

(٤) انظر: "شرح لمعة الاعتقاد" لابن عثيمين (ص ١٦١).

أهمية العقيدة الصحيحة وبيان فضلها

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٣٣) إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبِيتُ وتصبح

الشرح:

❁ ختم الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المنظومة الجميلة التي جمع فيها أهم أصول عقيدة أهل السنة، بهذا البيت الذي نبه فيه على أهمية الأخذ بما فيها من المعتقد الصحيح، ولهذا قال: **(إذا مَا اعتقدْتَ)** أي: إذا اعتقدت أيها المسلم هذه العقيدة الصحيحة، فـ **(ما)** في البيت زائدة.

❁ وقوله: **(اعتقدْتَ)** الاعتقاد مأخوذ من العقد، وهو ربط الشيء وتوثيقه. وهو نقيض الحل.

واصطلاحًا: هو الحكم الذهني الجازم فإن طابق الحق فصحيح وإن خالفه ففاسد.

❁ **وقوله: (الدَّهْرَ)** أي: مدة حياتك وطوال عمرك، **(يا صَاحِ)** مرخم صاحب، أي: يا صاحبي، وهذا من لطف الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وحسن تودده.

❁ **وقوله: (هذِه)** الإشارة هنا إلى الأصول العظيمة المذكورة في هذه المنظومة، وهي أصول جليلة مبنية على الكتاب والسنة، من تمسك بها نجا ومن انحرف عنها كان من الهالكين.

❁ **وقوله: (فَأَنْتَ عَلى خَيْرٍ تَبِيتُ وتصبح)** أي: ما دمت على هذه العقيدة، متمسكًا بها فصباحك ومساؤك ونومك واستيقاظك كله في خير وعلى خير، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

❁❁❁❁❁

تم بحمد الله

الفهرس

مقدمة الشارح..... ٥
التعريف بالمنظومة الحائية..... ٦
- مسألة: ما منزلة هذه المنظومة عند العلماء؟..... ٦
- مسألة: لماذا سميت بالحائية؟..... ٧
- مسألة: كم عدد أبيات هذه المنظومة؟..... ٧

التعريف بالناظم..... ٨
- اسمه:..... ٨
- مولده:..... ٨
- أشهر مشايخه:..... ٨
- أشهر تلاميذه:..... ٩
- منزلته العلمية وأقوال أهل العلم فيه:..... ٩
- عقيدته:..... ١٠
- دفاع عن الإمام ابن أبي داود:..... ١٠
- مصنفاته:..... ١١
- وفاته:..... ١١

نص المنظومة الحائية..... ١٢
التمسك بالكتاب والسنة والحذر من البدع وأهلها..... ١٤
- مسألة: ما هو حبل الله ؟..... ١٤
- مسألة: لماذا بدأ الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالوصية بالتمسك بحبل الله ؟..... ١٥
- فالمراد بسنة الخلفاء الراشدين أحد أمرين:..... ١٧
- مسألة : كيف نجمع بين نفي الهداية عن نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

[القصص:٥٦]. وبين إثباتها له في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]؟ ٢٠
- مسألة: ما هي طريقة أهل السنة وطريقة أهل البدع في الاعتقاد؟ ٢٠
- مسألة: ما هو تعريف البدعة ؟ ٢٢
- مسألة: ما هو حكم البدعة؟ ٢٢

الدين والمعتقد الصحيح في الأخذ بالكتاب والسنة ٢٤
- مسألة : ما هو تعريف السنة ؟ ٢٥

كَلَامُ اللهِ تَعَالى غَيْرُ مَخْلُوق ٢٧

صفة الكلام: ٢٧
القرآن كلام الله غير مخلوق ٣١
- مسألة : ما عقيدة أهل السنة في القران؟ ٣١
- مسألة: ما هي شبهات أهل البدع في أن القرآن مخلوق؟ ٣٤

التحذير من مذاهب المبتدعة في القرآن الكريم ٣٩
- مسألة : من هم الذين خالفوا أهل السنة في صفة الكلام؟ ٣٩

الطائفة الأولى: الأشعرية ٤٠
الطائفة الثانية: الجهمية ٤١
- **فإن قيل**: الواقف في مسألة القول بخلق القرآن لم يقل باطلًا ولا زورًا؟ ٤٢
- مسألة : من هم الجهمية ؟ ٤٣

سلسلة الجهمية إلى اليهود ٤٤

بطلان قول من قال: لفظي بالقرآن مخلوق ٤٦
- مسألة: هل ثبت أن الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يقول: لفظي بالقرآن مخلوق؟ ٤٨.

الإيمان برؤية الله تعالى يوم القيامة ٥٠
- مسألة: هل رأى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ربه تعالى في الدنيا ليلة المعراج؟ ٥١

تنزيه الرب جل جلاله عن مماثلته للمخلوقات ٦٠
- مسألة : ما مناسبة ذكر هذا البيت بعد رؤية الله تعالى؟ ٦٣

إنكار الجهمية لرؤية الله تعالى ٦٤

إثبات صفة اليدين لله تعالى..... ٦٧

- مسألة : هل نثبت لله يدا واحدة أم اثنتين أم أكثر من ذلك؟ ٦٩
- مسألة : هل نطلق على اليد الأخرى شمال؟.....٧٠

إثبات صفة النزول لله تعالى ٧٥

- مسألة : متى ينزل الله جل جلاله؟.....٧٥
- مسألة : إلى أين ينزل الله تعالى؟ ٧٦
- مسألة : هل لصفات الله تعالى كيفية؟ ٧٧
- مسألة: استشكل بعضهم نزول الرب تعالى إلى سماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل والثلث الأخير يختلف من بلد إلى بلد؟ ٧٩

فضل الخلفاء الراشدين..... ٨١

فضل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.....٨٢

فضل عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.....٨٥

فضل عثمان ذي النورين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٨٩

فضل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.....٩٤

فضل العشرة المبشرون بالجنة ٩٧

وجوب ذكر الصحابة بالخير ١٠٠

- مسألة : من هم الذين خالفوا أهل السنة في مسألة الصحابة؟.....١٠٤

الفرقة الثانية: الروافض الذين طعنوا في أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١٠٥

- سبب تسمية الرافضة بذلك:.....١٠٦
- الفرق بين الرافضة والشيعة: ١٠٦
- ومن أشهر عقيدتهم ومقالاتهم التي خالفوا فيها أهل السنة:.....١٠٦

وجوب الإيمان بالقدر ١٠٨

مراتب الإيمان بالقدر.....١١٠

أنواع التقدير الإلهي ١١٤

هل يجوز الخوض في القدر والبحث فيه بالعقل؟ ١١٧
- مسألة: هل يصح الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي؟ ١١٩
- مسألة: ما هي ثمار الإيمان بالقدر؟ ١٢٢

وجوب الإيمان بفتنة القبر ١٢٣

- مسألة : هل السؤال في القبر عام لجميع الأمم أم هو خاص بهذه الأمة؟ ١٢٩
- مسألة: هل الفتنة تشمل غير المكلف كالصبي والمجنون؟ ١٣١

وجوب الإيمان بالحوض والميزان ١٣٣

أولا: الحوض ١٣٤
- مسألة : لماذا سمي حوض نبينا بالكوثر ؟مع أن الكوثر نهر في الجنة ؟ ١٣٦
- مسألة : من أول من يرد الحوض ؟ ١٣٦
- مسألة: من الذي يمنع من الشرب من الحوض؟ ١٣٦
- مسألة: هل لكل نبي حوض؟ ١٣٨
- مسألة: من هم الذين أنكروا الحوض؟ ١٤٠
- مسألة: هل حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ موجود الآن؟ ١٤١

ثانيًا: الميزان. ١٤٢
- مسألة: هل هو ميزان واحد أو موازين متعددة؟ ١٤٣
- مسألة: ما الذي يوزن في الميزان؟ ١٤٤
- مسألة: أيهما قبل: الميزان أو الحوض أو الصراط؟ ١٤٥
- إشكال: كيف توزن الأعمال، والأعمال ليست محسوسة؟ ١٤٦
- مسألة: هل توزن أعمال الكفار؟ ١٤٦

وجوب الإيمان بالشفاعة ١٤٨

- مسألة: ما هي أنواع الشفاعة؟ ١٤٨

أنواع الشفاعات المثبتة ١٥٠

أولًا: الشفاعات الخاصة به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ١٥٠

ثانيًا: (الشفاعات العامة له ولغيره من الأنبياء والصالحين) ١٥٣
- مسألة: ما حكم من أنكر الشفاعة؟ ١٥٨

وجوب الإيمان بعذاب القبر..... ١٥٩

- مسألة: هل يدوم عذاب القبر أو ينقطع؟ ١٦٥
- مسألة : هل عذاب القبر غير فتنه القبر؟ ١٦٦

عدم تكفير أهل المعاصي التي ما دون الشرك ١٦٧

الفرقة الأولى: الخوارج والمعتزلة..... ١٧٣

ومن ضلالات وانحرافات الخوارج ١٧٥

قول أهل السنة فيهم ١٧٧

الفرقة الثانية: المرجئة ١٨١

الإيمان عند أهل السنة ١٨٣

- مسألة: هل الأعمال داخلة في مسمى الإيمان؟ ١٨٥
- مسألة: هل الأعمال شرط في الإيمان؟ وهل هو شرط صحة أو شرط كمال؟ ..١٨٧
- مسألة: ما هي الأقوال المخالفة لأهل السنة في تعريف الإيمان؟ ١٩١

الفرقة الأولى: الخوارج والمعتزلة. ١٩١

الفرقة الثانية: المرجئة..... ١٩٤

- مسألة: ما هو سبب نشأة الخلاف في الإيمان؟..... ١٩٦

التحذير من الأهواء والآراء المضلة ١٩٨

التحذير من المبتدعة..... ٢٠١

أهمية العقيدة الصحيحة وبيان فضلها..... ٢٠٧

الفهرس ٢١٠

دار الحديث السلفية - صبر - لحج